المنحى الإنساني
في فكر الإمام المراغي
(البواعث والآثار)

إعـــــداد

د. محمود بطل محمد أحمد

المدرس بكلية الدعوة الإسلامية

قسم الثقافة الإسلامية

ملخص البحث:

يأتي الإمام المراغي ليمثل واحداً من أبرز هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم تجديد ما اندرس من معالم الدين، والتنبيه على آلية الرجوع إلى عهد التمثل المُبتَغَى دون التنكر للخصوصية الزمنية التي تعيشها الأمة،وقد أتى هذا البحث ليتوصل إلى النقطة المحورية التي يمكن أن تُسلك فيها الخطوط الفرعية لمشروع المراغي التجديدي، وهي المنحى الإنساني .

كما تكمن أهمية هذا البحث في تعاطيه مع حتمية التجديد الديني ، والتي كثر الحديث عنها في الأدبيات المعاصرة، ويأتي هذا التعاطي تسليطاً للضوء على ما يراه الباحث ركناً ركينا من عملية التجديد هذه، وهو محورية القضايا الإنسانية.

وقد هدف هذا البحث إلى بيان كيف أن المنحى الإنساني شكَّل المحورية الكبرى في المشروع التجديدي للإمام المراغي،وقد تطلب هذا الإجابة على العديد من التساؤلات ومنها :

ما مفهوم المنحى الإنساني ؟

ما هي بواعثه في فكر الإمام المراغي ؟

كيف أثَّر هذا المنحى على رؤية المراغي للنص القرآني ؟

كيف أثر هذا المنحى على تجديده التشريعي؟

ما أثر هذا المنحى على رؤية المراغي للقضايا الإنسانية العامة ؟

وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج والتوصيات المدرجة في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية:

(المنحى ـ الإنساني ـ المراغي ـ التجديد ـ الزمالة لإنسانية)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، **وبعد**،،

فلا شك أن الفكر الإسلامي الحديث يمثل مرحلةً حاسمةً من مراحل الفكر الإسلامي؛ إذ إنه قد أتى بعد تقلبات جوهرية في السيرورة الحضارية للأمة، تغيرت إزاءها معالم التلقي، وتنوعت حيالها مسارات التأثر ، لكن كان للسنة الإلهية القاضية بخاتمية هذه الرسالة مظهران:

الأول: عدم وصول هذه الأمة إلى مرحلة الموت المطلق، وبقاء الذاتية المنهجية رغم تفاوت التمثل لها.

الثاني: عدم خلو الأمة ممن يُشَكِّل آليةَ الإيقاظ، والتنبيه، والربط بين عمومية الثوابت وخصوصية الإطار الزمني والمكاني.

ويأتي الإمام المراغي ليمثل واحداً من أبرز هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم تجديد ما اندرس من معالم الدين، والتنبيه على آلية الرجوع إلى عهد التمثل المُبتَغَى دون التنكر للخصوصية الزمنية التي تعيشها الأمة،وقد أتى هذا البحث ليتوصل إلى النقطة المحورية التي يمكن أن تُسلك فيها الخطوط الفرعية لمشروع المراغي التجديدي، وهي المنحى الإنساني .

كما تكمن أهمية هذا البحث في تعاطيه مع حتمية التجديد الديني ، والتي كثر الحديث عنها في الأدبيات المعاصرة، ويأتي هذا التعاطي تسليطاً للضوء على ما يراه الباحث ركناً ركيناً من عملية التجديد هذه، وهو محورية القضايا الإنسانية.

وبالرغم من أن تسليط الضوء على محورية القضايا الإنسانية في التجديد الديني يُعَدُّ ضرورةً معاصرة تفرضها العديد من المستجدات كالتطور المذهل في بنية وآليات العلوم الإنسانية، ومحاولة احتكار الحديث باسم الإنسان من قِبَلِ الكثير من المذاهب والأفكار الغربية،واجترار الحجة الداحضة التي مفادها هامشية المكانة الإنسانية في الإسلام، بالرغم من كل هذا إلا أن المناط الأكبر لتحتم هذه المحورية أمرٌ يرجع إلى الذاتية الإسلامية، واستحالة تمثلها تمثلاً صحيحاً دون أن تأخذ القضايا الإنسانية هذه المكانة، وهذا ما يحاول هذا البحث بيانه.

من هاتين الزاويتين أعني: الزواية الزمانية المتمثلة في خصوصية الفترة الفكرية التي تنتمي إليها الشخصية موضوع البحث، ثم الزاوية الموضوعية، والتي تتعلق بالمنحى الإنساني تبرز أهمية البحث.

<u>مشكلة البحث</u>

تُعَدُّ مشكلة البحث بمثابة البؤرة المركزية التي تستأهل أن يقوم حولها حلقة جديدة من البحث، وتوضح مدى جدارة القضية بالتتبع والنقاش.

ويمكن صياغة مشكلة هذا البحث فيما يلي :

لقد اتسم المشروع التجديدي الذي قام به الإمام المراغي بتشعب مفرداته، وانتشار آثاره، وإزاء هذا التعدد والتنوع قد يحدث التخبط في آليات البحث والتتبع لهذا المشروع، فقد يُظن في مفردة ما من المفردات أنها المفردة الحاكمة مع أنها عند التأمل لا تزيد عن كونها جزئية من الجزءيات لا تصلح أن تُصنف في إطار القاعدة الكلية، ولا تتوقف خطورة هذا اللبس في التنكر للوزن النسبي الذي تستحقه الجزئيات، بل الأخطر افتقاد التوصل إلى المعيار الحقيقي لهذا المشروع، ومن ثم إمكانية الاستفادة منه استفادة حقيقية، بل وعقد المقارنة المتبصرة بينه وبين سواه من المشاريع التجديدية.

لذا، فقد أتى هذا البحث ليحاول أن يتوصل إلى تلك القاعدة الكلية التي يمكن تتبع مفردات المشروع التجديدي للإمام المراغي على ضوئها، وهي المنحى الإنساني، ولا شك أن هناك إشكاليات فرعية كثيرة تكتنف تلك المحاولة، ومن أبرزها الإشكاليتان التاليتان:

الإشكالية الأولى: إشكالية البحث في أيّ من القضايا المرتبطة ارتباطاً جوهرياً بهذا الكائن المعقَّد خلْقاً وتكويناً . أعني الإنسان . والذي تراكمت حوله الرؤى والأفكار والفلسفات محاولةً فك رموزه، وسبر أغواره، والنفاذ إلى حقيقة العلاقة بين مكوناته.

الإشكالية الثانية: إشكالية العلاقة بين الفكرة المجردة والفكرة المجسدة، والتي تبرز دائماً في معالجة الشخصيات، فالفكرة تأخذ أصالتها وبكارتها من ناحية كلما كانت مستمدةً تلقائياً من النص المؤطِّر لها، لكن في الوقت ذاته تحتاج تلك الفكرة إلى مُعبِّر عنها، وصائغ لها، ومُوصل بين مقاصدها من ناحية ومعطيات الواقع المتجدد من ناحية أخرى، وهذا كله يجعل منها فكرة متجسدة، فالمنحى الإنساني لا شك أنه مؤطَّرٌ في ثنايا الأصول الإسلامية من القرآن والسنة، ولا شك كذلك أن إبراز هذا التأصيل، ورسم الخطوط الرأسية والأفقية لإنزاله على الواقع الإنساني يحتاج إلى فهم متجدد، ومن هنا تأتي أهمية البحث في فكر المجددين واتجاهاتهم.

إن مكمن هذه الإشكالية أنه كما ينبغي أن تبقى الفكرة المجردة بعيدةً عن النظرات الشخصية الضيقة وتأثيرات المكان المحدودة يجب كذلك الوعي بما تجسَّد من تلك الفكرة، وقرآءته قرآءةً مستوعبةً؛ لأنه وعيٌ يشكل المخزون الحيوي لتلك الأفكار المجردة.

فرضية البحث

يفترض هذا البحث أن المنحى الإنساني شكَّل المحورية الكبرى في المشروع التجديدي للإمام المراغي، وأنه مثَّل الإطار الجامع لكافَّة مفردات هذا المشروع سواء تلك المتعلقة بالتعامل مع أصول المنهج، أم بإطاره التشريعي، أم بمعطياته الإنسانية العامة.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من تمهيد، ومبحثين على النحو الآتي:

التمهيد : وبه نقطتان:

أولا : مفهوم المنحى الإنساني

ثانياً: تعريفٌ موجَزٌ بالإمام المراغي

المبحث الأول :بواعث المنحى الإنساني في فكر الإمام المراغي

المطلب الأول : التأثر بالمنحى الإنساني لدى الإمام محمد عبده

المطلب الثاني: خصوصية الحالة الإنسانية في القرن العشرين

المطلب الثالث: تراجع التكوين الذاتي في بنيوية الشخصية المسلمة

المبحث الثاني: آثار المنحى الإنساني في الرؤية التجديدية للإمام المراغي

المطلب الأول: أثر المنحى الإنساني في التعامل مع النص القرآني

المطلب الثاني: أثر المنحى الإنساني في التجديد التشريعي والقضائي

المطلب الثالث: المنحى الإنساني وقضية الزمالة الإنسانية

التمهيد

أولاً: مفهوم المنحى الإنساني

لا يخفى أن (المنحى الإنساني) مُركَّبٌ وصفيٌ، وطبيعة المركب أن معناه الكلي يتوقف على تصور جزئيه؛ لذا كان لزاماً علينا تصور كلٍّ من كلمتي (المنحى) و(الإنساني) لنتمكن بعد ذلك من تصور المعنى الكلي لهذا المركب.

(أ) معنى كلمة منحى

لا شك أن معرفة الأصل اللغوي للكلمة تضعنا في الدلالة الأولية لها، بل تُعَدُّ مدخلاً رئيساً في رصد حركة تطورها بعد ذلك، وبالنسبة للأصل اللغوي لكلمة منحى ومدلوله، فقد جاء في لسان العرب: "يُقال: نحوت نحوك أي: قصدت قصدك. النحو: القصد نحو الشيء، وانتحيت لفلان، أي: عرضت له ...ونحوت بصري إليه أي صرفت، ونحا إليه بصره ينحوه وينحاه: صرفه، وأنحيت إليه بصري: عدلته."[١]

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "(نحو) النون والحاء والواو: كلمة تدل على قصد، ونحوت نحوه، ولذلك سُمِّيَ نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام، فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به." [٢]

لقد وضعتنا هذه النقول في عمق المدلول اللغوي لمادة (نحو)، والذي يدور المعنى العام له حول قصد شيءٍ ما حسياً كان أم معنوياً.

ويعطينا سبب تسمية نحو الكلام (نحواً) معنىً إضافياً، وهو أن القصد إلى الشيء، وصرف النفس أو البصر إليه قد يكون بهدف مسايرة أصله، فالنحو هو قصد أصول الكلام لمسايرة ما كانت العرب تتكلم به لأنهم أصل اللغة.

أما بخصوص المعنى الاصطلاحي لكلمة (منحى Approach)، فقد جاء ما يلي:

"يقصد بهذا المصطلح في مناهج البحث: الاتجاه الفكري نحو موضوع أو موقف ما " [٣]

وهناك العديد من المصطلحات المقاربة لهذا المصطلح، ومنها:

- مذهب(Doctrine)، ومن تعريفاته أنه: "مجموعة مبادئ وأراء متصلة لمفكر أو لمدرسة، ومنه المذاهب الفقهية والأدبية والعلمية والفلسفية." [٤]
- نسق (Systeme)، وهو في الفلسفة والعلوم النظرية يعني: جملة أفكار متآزرة ومرتبطة يدعم بعضها بعضاً." [٥]
- مدرسة (Ecole)، وقد عُرِّفت بأنها: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين تقول بمذهب مشترك، وتنتمي إلى مكان معين، وتخضع لرئيس أو رؤساء متلاحقين . [٦]

---

(١) لسان العرب.جمال الدين ابن منظور جـ١٢. صـ٣١١ ، دار صادر، بيروت، طـ٣ (١٤١٤ هـ)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. جـ٥، صـ٤٠٤. دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. د: أحمد زكي بدوي. صـ٢٤، مكتب بيروت .لبنان

(٤) معجم الفلسفة صـ١٧٤ .مجمع اللغة العربية. المطابع الأميرية (١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م)

(٥) المرجع السابق صـ٢٠١

إننا نلاحظ هنا تعدد المصطلحات المقاربة لمصطلح المنحى، وأن المناط المشترك بين هذه المصطلحات هو الارتباط الفكري بين مجموعة من المبادئ، لكنها تكون أحياناً قاصرةً على مفكر بعينه كالنسق، وأحياناً تستوعب أجيالاً من المفكرين كالمذهب والمدرسة.

(ب) معنى كلمة (الإنساني)

الإنساني: اسم منسوب إلى الإنسان، ومادته (أنس)، وقد جاء في مقاييس اللغة عن هذه المادة ما يلي:

"الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش. قالوا: الإنس خلاف الجن، وسُمُّوا لظهورهم. يقال: آنست الشيء: إذا رأيته... ويقال: آنست الشيء: إذا سمعته، وهذا مستعارٌ من الأول... ويقال: إنسان وإنسانان وأناسي." (٧)

وذكر الراغب السر في تسمية الإنسان إنساناً، فقال: "قيل: سمّي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سُمِّي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه ، وقيل: هو إفعلان، وأصله: إنسيان، سمّي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي." (٨)

إن هذه الدلالات بالرغم من أنها دلالات أولية إلا أنها تظهر لنا حقيقة جوهرية في طبيعة هذا المخلوق المسمى بالإنسان، تلك الحقيقة هي استعداده الفطري للتعايش مع غيره من بني جنسه، وهذا يظهر إلى أي مدىً يمكن أن ننظر إلى بواعث الفرقة الإنسانية على أنها أمر يتصادم مع الدلالة الأولية للمعنى الإنساني.

أما تعريف الإنسان اصطلاحاً، فقد تعددت تلك التعريفات تبعاً للمنطلقات الفكرية التي خرجت من ثناياها؛ حيث إن "تعريف الإنسان في أي مذهب له أهميةٌ خاصةٌ لأنه حجر الزاوية في المذهب كله، وهو كذلك يحدد الاتجاهات العامة فيه، ولقد وضع أرسطو تعريفاً للإنسان بأنه حيوانٌ ناطقٌ؛ ذلك لأن فلسفة أرسطو تدور كلها حول الماهية(٩)، وعرَّف ماركس في العصر الحديث الإنسان بأنه حيوانٌ صانع للآلة أي وفقاً لوظيفته؛ لأن الجانب الاقتصادي هو حجر الزاوية في مذهبه، وعرَّفه المسلمون بأنه كائن مكلف مسؤول عن أعماله وأخلاقه لأن الإسلام اهتم بالأعمال وبالأخلاق حيث هي المحور الرئيسي للفكر الإسلامي." (١٠)

---

(٦) المرجع السابق صـ١٧٣

(٧) مقاييس اللغة جـ ١صـ١٤٥

(٨) المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص٩٤. دار القلم، دمشق ط١ (١٤١٢هـ)

(٩) قال الجرجاني : " ماهية الشيء: ما به الشيء هو هو، ... وقيل: منسوب إلى: ما، والأصل: المائية، قلبت الهمزة هاء؛ لئلا يشتبه بالمصدر المأخوذ من لفظ ما، والأظهر أنه نسبة إلى "ما هو"؛ جعلت الكلمتان ككلمة واحدة، تطلق غالبًا على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي." (التعريفات .علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني .تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط١ (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)

(١٠) الفلسفة الإسلامية د سهير فضل الله صـ ٢٦. دار النهضة العربية بدون

ولقد ظهرت السمة الرئيسة في التصور الإسلامي لمفهوم الإنسان في مرتكز التكليف حيث "إن المسلمين مع اختلافهم حول تعريف الإنسان إلا أنهم لم يختلفوا حول الصفة الأساسية في أنه مكلَّف، وليس بين تعريفاتهم ما يتعارض مع صفة التكليف." (١١)

وتضعنا الدكتورة عائشة عبد الرحمن في عمق الماهية الإنسانية في القرآن الكريم؛ حيث فرَّقت في ذلك بين الإنسية والإنسان، "فدلالة الإنسية هي المتعينة بمقتضى استعمال القرآن الكريم للفظ الإنس دائماً في مقابل الجن بما تعني من توحش وخفاء، أما الإنسان فليس مناط إنسانيته فيما نستقرئ من آيات البيان المعجز مجرد كونه منتمياً إلى فصيلة الإنس ، كما أنه ليس مجرد بشر يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وإنما الإنسانية فيه ارتقاءٌ إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض، واحتمال تبعات التكليف، وأمانة الإنسان؛ لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز مع ما يلامس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته، وما يزدهيه من الشعور بقدره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومرتبة الكائنات." (١٢)

إن هذا يُظهر أن مفهوم الإنسان إحدى المفاهيم التي يمكن أن تشكل لنا رافداً مهماً في معرفة الاتجاهات الفكرية العامة التي تقاسمت التاريخ المعرفي،ومع أن اتخاذ المفاهيم العامة بهذه الحيثية يعد خطوةً أولى في سبر غور هذه الاتجاهات إلا أنها خطوةٌ لا محيدَ عنها.

المنحى الإنساني بين الدلالة المفاهيمية والتحديد الاصطلاحي

إن هناك إشكاليتين تكتنفان محاولة تحديد المراد بالمنحى الإنساني، وهما ما يلي :

الإشكالية الأولى : أن هذا المصطلح لم يكن له وجودٌ بهذا الشكل في تراثنا الإسلامي، لكن ذلك لا ينفي وجود محتواه المفاهيمي؛ حيث إننا "نجد الفكر الإسلامي قد عني بالنفس ودراستها عنايةً كبرى، وظهرت فيه دراسات نفسية إنسانية على أيدي كثير من المفكرين والفلاسفة المسلمين كالكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن حزم، وابن ملكا، والغزالي." (١٣)

بل مثَّلت القضايا الإنسانية ركناً ركيناً من الميراث الفلسفي الإسلامي

"إذا كانت مسألة قدم العالم وحدوثه تحتل مركزاً ممتازاً في تاريخ الفكر الفلسفي عامة والفلسفة الإسلامية خاصة، فإن مشكلة النفس الإنسانية، ومسألة حشر الأجساد لاتقل أهمية."(١٤)

ولو أردنا مثالاً على ذلك، فإننا " نجد في كتابات التوحيدي على اختلاف أنماطها، وتباين الفترات الزمنية التي كُتبت فيها خلال حياته الطويلة معرضاً لكل ما يتصل بالإنسان من

---

(١١) المرجع السابق صـ ٢٦

(١٢) القرآن وقضايا الإنسان، د:عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. دار العلم للملايين، صـ٢٠، طـ٥ (١٩٨٢م)

(١٣) الفلسفة الإسلامية.د: سهير فضل الله صـ ٦

(١٤) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، د محمد جلال أبو الفتوح شرف، ص١٩٦، دار المعارف بمصر(١٩٧٥م)

أفكار وهواجس ومشاعر، ومن ثم معرضاً فسيحاً حافلاً بألوان التعبير عن حياة الإنسان، وتجاربه، وأشواق النفس الإنسانية، وتطلعاتها." (١٥)

الإشكالية الثانية : كثرة المصطلحات الغربية التي استهلكت النسبة إلى الإنسان؛ حيث برزت العديد من هذه المصطلحات، وبالطبع كان لها . كمثيلاتها من المصطلحات الغربية . سياقاتها الفكرية الناجمة عن بيئتها الخاصة.

إن فحوى هاتين الإشكاليتين أن البحث في قضايا الإنسان لم يغب يوماً عن الرؤية الإسلامية مع عدم إطلاق أي من المصطلحات عليها ، وليس من الحيادية العلمية إطلاق أي من هذه المصطلحات الغربية على فحوى الرؤية الإسلاية للإنسان وقضاياه نظراً لمضامينها الفكرية المخالفة للرؤية الإسلامية، لذا لم يبق لنا سوى الرجوع إلى أصولنا اللغوية، وصكّ مصطلح يتناسب مع تلك الرؤية، فكان مصطلح المنحى الإنساني.

ويمكن تعريفه بأنه : محورية الاهتمام بالقضايا الإنسانية المختلفة وفق الرؤية الإسلامية.

ويمكن شرح هذا التعريف وبيان أهم ملامحه بما يلي :

أولاً : لا يعني المنحى الإنساني مجرد الاهتمام بالقضايا الإنسانية بل اتخاذها محوراً من محاوور البنية الإسلامية.

ثانياً: يعني المنحى الإنساني محورية الاهتمام بكل القضايا الإنسانية كالحديث عن حقيقة هذا الإنسان والبحث في مكوناته الجسدية والروحية والنفسية وبيان مكانته في هذا الكون.

المصطلحات المقاربة

وحتى تكتمل الصورة أبين فيما يلي أبرز المصطلحات التي اتخذت من الإنسان عنوانا لها، ثم أقوم بالتعقيب العام عليها.

مصطلح النزعة الإنسانية

يُعَدُّ مصطلح النزعة الإنسانية من أشهر المصطلحات المتداولة التي تتخذ من الإنسان وقضاياه مرتكزاً لها، وهذه الشهرة بعينها كانت مظهراً من مظاهر تعدد الرؤى والوجهات في الكشف عن كُنه هذا المصطلح حتى رأينا الدكتور عبد الرحمن بدوي يبين أن هناك سياقين يتحتم قراءة هذا المصطلح في إطارهما "أحدهما: تاريخي، والآخر: مذهبي، أما المعنى التاريخي فهو الذي يرمي إلى إيجاد نزعة إنسانية جديدة تضارع النزعة الإنسانية التي ظهرت في أوربا في القرون من الرابع عشر إلى السادس عشر.

أما المعنى المذهبي فيتردد كثيراً على ألسنة وأقلام المذهب الوجودي، وهو عندهم يختلف اختلافاً ظاهراً عنه عند أصحاب المعنى التاريخي؛ لأنه لا يعتمد على تجربة روحية تاريخية، بل على مذهب قائم برأسه في فهم الوجود على أساس أن مركز المنظور فيه هو

---

(١٥) أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم. د: محمود إبراهيم، ص٤٧، الدار المحمدية للنشر والتوزيع ط(١٩٨٥م)

الإنسان، وأن الوجود الحق أو الوحيد هو الوجود الإنساني حتى صارت شارته هي:من الإنسان، وإلى الإنسان بالإنسان، أو كل شئ للإنسان، ولاشئ ضد الإنسان، ولاشئ خارج الإنسان." [١٦]

ومما يمثل إشكاليةً في تداول هذا المصطلح غير ما ألمح إليه الدكتور بدوي من تعدد سياقاته عدم اتفاق المفكرين على كون النزعة الإنسانية مذهباً من المذاهب، وممن يمثل هذا الاتجاه (كورليس لامانت)؛ حيث يرى في كتابه (النزعة الإنسانية كفلسفة) أن النزعة الإنسانية ليست نظاماً فلسفياً مغلقاً أو مفتوحاً بقدر ما هي طريقة في التفكير.[١٧]

ولم تتوقف إشكاليات هذا المصطلح عند هذا الحد، بل رأينا (آلان بالوك) يجنح إلى إيثار مصطلح آخر يعبر به عن مضمون النزعة الإنسانية، وهو مصطلح (التقليد الإنساني)، ويجيب بالوك على التساؤل الذي قد يطرحه القارئ حول السر في تسميته للهيومانزم بالتقليد الإنساني، وهو أنه في تناوله للهيومانزم يستند إلى فرضية فاعلة قوامها النظر إليها لا باعتبارها مدرسة فكرية أو مذهباً فلسفياً، وإنما باعتبارها اتجاهاً عريضاً أو بعداً محدداً في التفكير والاعتقاد."[١٨]

ولقد تطرق بالوك إلى نقطة فارقة في مكنون الرؤية الغربية لهذا المصطلح؛ حيث بين أن الفكر الغربي قد مر بمراحل ثلاث ترتبت عليها أوضاع ثلاث للإنسان

الموقف الأول: أسماه الموقف المتعالي أو ما فوق الطبيعة، وتمحور التفكير فيه حول الله، ونُظر إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء من الخلق الإلهي، وقد ساد هذا الموقف العصور الوسطى بصورة واضحة.

الموقف الثاني : أسماه الموقف الطبيعي أو العلمي، ومنحت فيه الأولوية للطبيعة، ونظر فيه إلى الإنسان على أنه مجرد جزء من الطبيعة، وقد تبلور هذا الموقف في القرن السابع عشر.

الموقف الثالث: أسماه الموقف الإنساني، وفيه يتمحور الاهتمام حول الإنسان أي حول الخبرة الإنسانية باعتبارها نقطة البداية في معرفة الإنسان لنفسه ولله وللطبيعة،وهذا الموقف تبلور تاريخياً في عصر النهضة في أوربا."[١٩]

لقد أراد بالوك أن يبين أن النزعة الإنسانية كانت مرحلةً من مراحل الفكر الغربي أراد فيها القفز على التفكير الديني أو الطبيعي.

وكما يظهر جلياً هنا أن هذا ناشئٌ أساساً من الرؤية الغربية لكل من الطبيعة والإنسان وتطورها الذي كان عماده التناقض المزعوم بين ثلاثية (الدين، والطبيعة، والإنسان)

---

(١٦) الإنسانية والوجودية في الفكر العربي. د: عبد الرحمن بدوي بتصرف صـ١٦. دار القلم بيروت لبنان

(١٧) النزعة الإنسانية في الفكر العربي. تحرير:عاطف أحمد، بحث التوجه الإنساني تحليل مفهومي تاريخي، ص٣٨.

(١٨) المرجع السابق ص١٠

(١٩) المرجع السابق ص١١

وفي ظل هذا الاختلاف والتنوع في بيان كُنه هذا المصطلح لا يضحي غريباً أن نشهد نزعات إنسانية وليس نزعة واحدة؛لذا جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن النزعة الإنسانية أنواع مختلفة، وأهمها:

النزعة الإنسانية الابستمولوجية: وتقرر أن الإنسان هو مقياس الأشياء جميعاً

النزعة الإنسانية الدينية: وتعارض المذاهب المسيحية ذات الاتجاه السلفي التقليدي،

النزعة الإنسانية الطبيعية: ويطلق عليها أحياناً النزعة الإنسانية العلمية، وتفند كل أشكال العلو على الطبيعة."[٢٠]

إننا ومن خلال هذا العرض يمكن أن نتوصل إلى القول بأن " النزعة الإنسانية إذن ليست نظاماً فلسفياً، ولا هي تعاليم محددة، وإنما حوارٌ دائم شهد وجهات نظر مختلفة ولا يزال، وبالتالي فأي محاولة لتحديد خصائصها لا يمكن الزعم بأنها موضوعية أو نهائية، بل تظل دائماً تعبيراً عن وجهة نظر شخصية." [٢١]

ولا تتوقف إشكالات هذا المصطلح عند هذا الاختلاف الغربي الشديد في تحديد كنهه، بل مما يزيد الأمر إشكالاً أن البعض رأى تجريد هذا المصطلح من كل مضامينه الفكرية تلك، واستعمله بمعناه الدلالي الأولي، وهو مجرد الاهتمام بقضايا الإنسان."[٢٢]

وفي نفس هذا السياق يأتي حديث أحد الباحثين، فيتحدث عن النزعة الإنسانية لدى العقاد،ويبين مراده من هذا المصطلح قائلاً : "نقصد بالنزعة الإنسانية في شعر العقاد: صدق التعبير عن الإنسان في مختلف حالاته من سرور وغضب، وهدوء وصخب ،وصحة ومرض، وغير ذلك من النزعات والرغبات التي تصطرع في كيانه، فيعبر عنها أصدق تعبير وأتمه غير مشوب بالتصنع، وغير مضطر إلى الزيغ والزيف في ذات ضميره، وذلك على حد تعبير العقاد."[٢٣]

مصطلح الإنسانية

إذا جئنا إلى مصطلح الإنسانية، فإننا نجد له إطارين في الاستعمال:

الأول: استعماله بمعنى تجذر الصفات التي يستحق المتصف بها الانضمام لهذا النوع البشري؛ لذا جاء أن "الإنسانية ما اختص به الإنسان من المحامد من نحو الجود وكرم الأخلاق."[٢٤]

وجاء في المعجم الفلسفي: "الإنسانية" هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة والحيوانية والنطق وغيرها، وهذا المعنى شبيه بالمعنى القديم الذي نجده عند فلاسفة العرب."[٢٥]

---

(٢٠) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية باختصار ، د: أحمد زكي بدوي، صـ٢٠٣

(٢١) النزعة الإنسانية في الفكر العربي. تحرير: عاطف أحمد، بحث التوجه الإنساني تحليل مفهومي تاريخي ص٢٢

(٢٢) شيلر: عثمان أمين، صـ٩٤ نقلاً عن النزعة الإنسانية عند جبران، صـ ٩٠

(٢٣) النزعة الإنسانية في شعر العقاد. د: عبد الحي دياب، ص١. دار النهضة العربية (١٩٦٩)

(٢٤) دائرة معارف القرن العشرين. محمد فريد وجدي صـ (مادة أنس الإنسان)

الثاني: استعماله كمذهب فلسفي، وهو يطلق على تلك الحركة الفكرية التي سادت في عصر النهضة الأوربية، وكانت تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد، ويرمي بوجه خاص إلى التخلص من سلطة الكنيسة، وقيود القرون الوسطى. "[٢٦]

مصطلح الأنسنة أو (الإناسة)

لا تفرق كثير من المعاجم بين مصطلحي النزعة الإنسانية والأنسنة فهما مترادفان وإن كان الأول أكثر استعمالاً وشهرة ويعد محمد أركون من أكثر المفكرين استعمالاً لمصطلح الأنسنة حيث ألف أكثر من كتاب يشرح فيه هذا المصطلح ويبين تداخلاته الفكرية في الإطارين الغربي والإسلامي مثل كتابه الأنسنة العربية الذي نشر بالفرنسية عام(١٩٧٠) وكتاب (الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي)

من التعريفات التي أوضح بها أركون مصطلح الأنسنة قوله: إنها تعني :التطبيق المستمر للعمليات المعرفية الثلاث التي يعبر عنها بضيغ التعدي، والنقل، والتجاوز على كل النظم الفكرية والإيمانية الموروثة عن كل الأديان والثقافات . [٢٧]

مصطلح المذهب الإنساني

جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية تحت مصطلح (Humanism) المذهب الإنساني:

"المذهب الذي يرى أن الإنسان ينبغي عليه من الناحية الأخلاقية أن يقصر اهتمامه على ما يدخل في النطاق الإنساني من صفات وفضائل وأعمال."[٢٨]

مصطلح (إنسانوية)

وأما مصطلح (إنسانوية) (Humanism)، فقد جاء في معناه ما يلي:

(أ) حركة فكرية يمثلها إنسانيو النهضة، وتتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري، وجعله جديراً ذا قيمة، وذلك يوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة.

(ب) اسم يطلق على المذهب الذي يقول بأن الإنسان هو المقياس لكل الأشياء.

(ج) عقيدة تقول: إن على الإنسان أن يتمسك فقط بما هو إنساني، من الناحية الأخلاقية تدل الإنسانوية على تصور عام للحياة السياسية والاقتصادية، فهي تقوم على الاعتقاد بخلاص الإنسان بالقوى البشرية وحدها." [٢٩]

ونجد ان المعلق على موسوعة لالاند وضع لنا تعريفا يراه أكثر التعريفات تحديداً لمصطلح الإنسانوية؛ حيث قال: "لا شك في أن من غير الممكن إيجاد تعريف أشمل للإنسانوية من هذا

---

(٢٥) المعجم الفلسفي د:جميل صليبا، مجلد ٢. صـ(١٥٨-١٥٩).دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ الرسالة.

(٢٦) معجم الفلسفة. مجمع اللغة العربية صـ ١٧٤

(٢٧) الأنسنة والإسلام (مدخل تاريخي نقدي) محمد أركون ترجمة وتقديم: محمود عزب صـ٤٧.دار الطليعة بيروت ط١(٢٠١٠م)

(٢٨) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية.د : أحمد زكي بدوي صـ٢٠٣

(٢٩) موسوعة لالاند الفرنسية. تعريب: خليل أحمد خليل. المجلد الثاني صـ ٥٦٩ . منشورات عويدات بيروت باريس. ط٢ (٢٠٠١م)

التعريف "مركزية إنسانية متروية تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه . استبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته سواء بإخضاعه لحقائق ولقوى خارقة للطبيعة البشرية أم بتشويهه من خلال استعماله دونياً دون الطبيعة البشرية." (٣٠)

تعقيب عام على هذه المصطلحات

إن ما يعنينا في التعامل مع هذه المصطلحات عدة أمور:

الأول : جاءت هذه المصطلحات جميعاً ترجمةً لمصطلح غربي واحد، وهو (Humanism) مما يدلل على التقارب الشديد بين مفاهيم هذه المصطلحات.

الثاني: اتساع الآراء، وتعدد المذاهب في تحديد تلك المصطلحات،وخضوعها في ذلك للإطارين الزماني والمكاني مما يجعل من الصعوبة تبني أياً منها في التعبير عن محورية القضايا الإنسانية في الإسلام.

الثالث: أنه لا يلزم من سيطرة هذه المصطلحات بمضامينها الغربية على الساحة العلمية بتشكلاتها المخلفة صدقها في التعبير عن محورية القضايا الإنسانية؛ ذلك لأن السيطرة الفكرية قد تكون أحياناً مجرد تابع للسيطرة الحضارية العامة.

الرابع: لا يمكن النظر إلى السياقات التي نشأت في ظلالها هذه المصطلحات من منظور السرد التاريخي فحسب، بل من منظور أعم يجعل من هذه السياقات مدخلاً لا يمكن إغفاله في استكناه هذه المصطلحات، ومن ثَمَّ التعامل معها.

الخامس: لا ينبغي أن يكون مجرد النشأة الغربية لهذه المصطلحات داعياً للرد المطلق لمضامينها الفكرية، فمن خلال سرد بعض التعريفات لهذه المصطلحات تبين لنا أن هناك من المضامين الفكرية لهذه المصطلحات ما يتعارض مع الرؤية الإسلامية، وهناك بعض المضامين التي تتفق والرؤية الإسلامية، فالاهتمام بقضايا الإنسان والبحث عن أسرار النفس الإنسانية ليس بالأمر الغريب على تراثنا الفكري.

إن خلاصة ما مضى أن هناك الكثير من المصطلحات التي تتخذ من قضايا الإنسان عنواناً لها، وإزاء هذا رأيت أن صياغة مصطلح نابع من ذاتيتنا معبر عنها سيكون أولى، فكان مصطلح المنحى الإنساني الذي ذكرت الملامح العامة لمفهومه فيما مضى

---

(٣٠) من تعليق المعرّب . موسوعة لا لا ند الفرنسية.المجلد الثاني صـ ٥٦٩

ثانيا : تعريفٌ موجَزٌ بالإمام المراغي

نسبه ومولده: هو الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، ولد في السابع من شهر ربيع الآخر(١٢٩٨هـ) الموافق التاسع من مارس سنة (١٨٨١م) في قرية المراغة من مديرية جرجا محافظة سوهاج بصعيد مصر. [٣١]

وكان والده على قسط من الثقافة ويتمتع بسمعة طيبة ومنزلة كريمة في الوسط الذي يعيش فيه، فدفع ابنه إلى حفظ القرآن الكريم، ولقنه نصيباً من المعارف الدينية . [٣٢]

نشأته العلمية: بدأ المراغي حياته في التعليم بحفظ القرآن الكريم على النظام الذي كان يُعرف في الريف في القرن التاسع عشر، ولما أكمل استظهاره أخذ يختلف إلى أحد العلماء في مدينة طهطا التي تجاور المراغة، ولم يلبث طويلاً حتى اتجهت نفسه إلى أن يأتي مصر ليدرس في الأزهر.[٣٣]

وقد كان في مستهل شبابه يُبدي من الرأي ما كان يثير إعجاب زملائه وهم أوفى منه سناً، وأقدم منه عهداً بملابسة حياة الأزهر."[٣٤]

ومع أنه " كان كثيراً في الأزهر إذ ذاك أن يقدم طالب على دراسة فنون الحكمة وفروع الفلسفة، ولكن الأستاذ كان شغوفاً بنشدان الحقيقة وتذوق العلوم التي تغذي العقل وتمد من سلطانه على نواحي الحياة وإدراك ما بها، فلم يبال بالخروج على ما ألف الأزهريون من علوم تداولوها خلفاً عن سلف طوال العشرة القرون الماضية، واتفق هو وبعض أصدقائه على أن يتلقوا عن أحد الشيوخ في منزله علوم الحكمة والفلسفة."[٣٥]

ورغم هذه المدة القصيرة التي قضاها في الأزهر على خلاف ما عهد الناس في طلاب الأزهر إذ ذاك تقدم في مستهل عام سنة (١٩٠٤م) لشهادة العالمية، وكان موضع إعجاب الأساتذة في لجنة الإمتحان.[٣٦]

وفي أول أغسطس سنة (١٩٠٤م) جلس الشيخ في حلقة التدريس بالأزهر، والتف الأزهريون الطلاب من حوله، وغصت حلقة الدراسة بهم، لما عُرف به من دقة البحث، وعمق الفكرة، وفصاحة العبارة." [٣٧]

---

(٣١)الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين.د: محمد عمارة صـ٥ .دار السلام .رسائل الإصلاح (١٦)، ط١، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)

(٣٢) مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن .علي عبد العظيم جـ٢صـ١١ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٩٩هـ . ١٩٧٦م)

(٣٣) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب.أبو الوفا المراغي .صـ ٥. المطبعة الأميرية بالأزهر ط١ (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)

(٣٤) المرجع السابق صـ ٦

(٣٥) المرجع السابق صـ ٦

(٣٦) المرج السابق صـ ٦

(٣٧) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة. محمد كامل الفقي. جـ٢صـ٧٧.المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف

وقد بدأ الشيخ حياته قاضياً في مدينة (دنقلة) في نوفمبر سنة (١٩٠٤م)، وظل في هذا المنصب حتى ديسمبر سنة (١٩٠٦م) وفيها عُيِّنَ قاضياً لمدينة الخرطوم، وهو أكبر مركز قضائي في السودان بعد وظيفة قاضي القضاة. [٣٨]

وفي سبتمبر سنة (١٩٠٧م) عُيِّنَ مفتشاً بوزارة الأوقاف بمصر، ولم يلبث طويلاً حتى عُيِّن في أغسطس سنة(١٩٠٨م) قاضياً لقضاة السودان.[٣٩]

عاد المراغي إلى مصر في سبتمبر سنة(١٩١٩م) بوظيفة رئيس التفتيش الشرعي وفي يونيو سنة (١٩٢٠م) عُين رئيساً لمحكمة مصر الشرعية، وظل بها حتى يناير سنة (١٩٢١م)، ثم عُيِّنَ عضواً بالمحكمة العليا الشرعية، وبقي بها حتى ديسمبر سنة (١٩٢٣م)، ثم عُيِّنَ رئيساً لمحكمة مصر الشرعية العليا. [٤٠]

وكان المراغي بحكم منصبه القضائي عضواً في المجلس الأعلى للأوقاف والمجلس الحسبي العالي، وكان له دورٌ كبيرٌ في تبسيطٍ لقواعد العمل، وتسهيلٍ لحاجات الخصوم."[٤١]

وقد تقدم وهو في رئاسة المحكمة العليا للحصول على كرسي في هيئة كبار العلماء برسالة موضوعها "الأولياء والمحجورين"، فكان لها في الدوائر العلمية الأزهرية والقضائية أجلُّ موضع."[٤٢]

توليه مشيخة الأزهر: تولى المراغي مشيخة الأزهر مرتين: الأولى كانت في مايو سنة (١٩٢٨م)، واستمرت أربعة عشر شهراً، وفي هذه الأثناء كتب مذكرته الإصلاحية الشهيرة . والتي تعتبر بحق دستور الإصلاح في الأزهر الحديث . ضمَّنها آراءه وأفكاره، وخلاصة تجاربه، وأهم ما جاء فيها تقسيم القسم العالي بالأزهر إلى كليات ثلاث: كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية، وإنشاء قسم للدراسات العليا يسمى تخصص المادة، ثم بعض المواد في كيفية إدارة الأزهر، وانقسم الأزهر أمام تلك الآراء إلى قسمين مؤيد ومعارض، وقف الملك فؤاد بجانب الفريق المعارض للخلاف الناشئ بينه وبين المراغي في بعض مواد القانون، فقدم استقالته من مشيخة الأزهر." [٤٣]

ظل المراغي بعيداً عن المشيخة حتى أبريل سنة(١٩٣٥م)؛ حيث عاد إليها ثانية بعد رضوخ الملك للضغط الشعبي الذي وصل إلى حد المظاهرات من قِبَل الطلبة لتوليه المشيخة، واستمر شيخاً للأزهر هذه حتى وفاته.[٤٤]

---

(٣٨) انظر : الشيخ المراغي بأقلام الكتاب صـ ٧
(٣٩) المرجع السابق صـ٧
(٤٠) المرجع السابق صـ ٨
(٤١) المرجع السابق صـ ٩
(٤٢) المرجع السابق صـ ٩
(٤٣) الأزهر في ألف عام .د : محمد عبد المنعم خفاجي .د:علي علي صبح جـ٥صـ ٢٣٧المكتبة الأزهرية للتراث ط٣
(٤٤) المرجع السابق جـ ٥صـ ٢٣٧

من مواقفه السياسية والوطنية:

كان المراغي واحداً من أبرز شيوخ الأزهر في العصر الحديث، ولعل من أسباب ذلك كثرة مواقفه السياسية والوطنية سواء أتعلقت بالسلطة داخل مصر أم بالاستعمار وذيوله، ومن موافقه تلك أنه رفض أن يعين في منصب قاضي القضاة بالسودان بمرتب يفوق مرتبه الذي كان يتقاضاه آنذاك سبع أضعاف إلا بمرسوم مصري، وحين استدعاه اللورد البريطاني وسأله متعجباً كيف ترفض هذا المرتب أصر على موقفه فأجبر البريطانيون على ذلك، وكان سنة ماضية فيمن يعين بعده في هذا المنصب.(٤٥)

ومن أشهر مواقفه السياسية موقفه أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية، وتصريحه من فوق منبر مسجد الرفاعي بأن مصر تدخل معركة لا ناقة لها فيها ولا جمل، وقد أثار هذا التصريح سلطات الاحتلال، وحاول رئيس وزراء مصر أن يهدد المراغي فقال له:" مثلك يهدد شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لصعدت منبر الحسين، وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلت لوجدت مكانك على الفور بين عامة الشعب."(٤٦)

ملكته الخطابية:

كان الإمام المراغي واحداً من أبرز الخطباء الدينيين في العصر الحديث، وكان له نهجه الخاص في الإلقاء والتأثير؛ حيث " كان خطيبًا بارع الحجة، حسن الأداء، متزنًا في إلقائه، فصيحًا في عبارته، إذا دعاه الموقف إلى ارتجال أحسنه، وإن أعد القول في المواقف الرسمية كان مجيداً مبدعاً، وهو متخير اللفظ مشرق البيان في كل حال، وكانت له في خطبة سطوة وجزالة وهيمنة، وطالما نمَّت عن روح العزة المائلة في نفسه، والزعامة التي كان لها أهلًا، والحق أنه أعاد للخطابة الدينية مجدها الذي أسس الإمام محمد عبده بناءه، وشيد دعامته،

وهو أول من ألقى هذه الدروس الدينية بين يدي الملك الشاب، فجاءت آية في لفظها وأسلوبها وتصويرها، لم تكن علماً جافاً، ولا موعظة خالصة، بل كانت نماذج الأدب الرفيع، وإنه ليروقك منها تسلسلها واطرادها، وجمعها بين أدب القرآن والأدب النبوي، وبين أدب العرب الذي يتمثل به والعلم الحديث الذي يمزج به علم الدين."

آثاره العلمية:

- الأوياء والمحجورين، وهو بحث فقهي نال به عضوية هيئة كبار العلماء وهو مخطوط بمكتبة الأزهر
- (تفسير جزء تبارك) جعله امتداداً لتفسير أستاذه الشيخ محمد عبده لتفسير جزء عم . وهو مخطوط
- بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قانون الزواج رقم (٢٥) (١٩٢٩م)

---

(٤٥) المرجع السابق جـ٥صـ ٢٣٨

(٤٦) المرجع السابق جـ٥صـ ٢٣٩

- بحث في ترجمة القرآن الكريم. طبع بمطبعة الرغائب (١٩٣٦م)
- رسالة (الزمالة الإنسانية) كتبها لمؤتمر الأديان بلندن (١٩٣٦م)، وطبعت بمطبعة الرغائب (١٩٣٦م)
- مباحث لغوية بلاغية. كتبها أثناء تدريسه لكتاب (التحرير في الأصول) (مخطوط)
- الدروس الدينية، وهي تفسير لبعض السور والآيات القرآنية ألقاها في مناسبات عامة وقد جمعت تحت عنوان (تفسير القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمد مصطفى المراغي) ضمن سلسلة البحوث الإسلامية السنة الثامنة والثلاثون الكتاب السابع (١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م)
- مقالات، وخطب عديدة كُتبت وأُلقيت في مناسبات مختلفة.[٤٧]

وفاته: في (١٤رمضان سنة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥م) توفي الإمام المراغي، ودُفِن في مقبرة خاصة به بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها.[٤٨]

---

(٤٧) الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين، د. محمد عماره، ص٢١ دار السلام .رسائل الإصلاح (١٦)، ط١، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)

(٤٨) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب.أبو الوفا المراغي صـ١٠، شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر .المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (صفر ١٤٠٦ . نوفمبر ١٩٥٨)

المبحث الأول

بواعث المنحى الإنساني في فكر الإمام المراغي

المطلب الأول: التأثر بالمنحى الإنساني لدى الإمام محمد عبده

إن المتأمل في مسيرة التاريخ العلمي يدرك أن هناك ظاهرتين تستأهلان التوقف أمامهما، وهما:

الأولى : أن التلمذة الفكرية كانت من أبرز الأوعية التي تمت بها عملية تداول المفاهيم والأفكار، والانتقال بها من المحدودية الزمانية والمكانية إلى إطار الآفاقية، فكم من مذهب واتجاه لم يُقَدَّر له الذيوع والانتشار رغم رجاحة بنيته الذاتية حين لم يسر على تلك السُنَّة.

الثانية : أن تلك التلمذة الفكرية لم تكن في الكثير من حالاتها صوراً مكررة من الأستاذية التي غذتها، بل شهدت تميزاً تفرعت بسببه المذاهب حتى أضحت هناك اتجاهات عدة داخل كل مذهب.

في ظل هاتين الظاهرتين يمكننا فهم العلاقة بين محمد عبده كأستاذ والمراغي كتلميذ، فمحمد عبده شكَّل الأستاذية ليس للمراغي فحسب، بل للجيل بأكمله آنذاك؛ حيث إنه "في مستهل هذا القرن كانت الشبيبة المصرية في حيرة من أمرها، فأخذت تقلب البصر في الظلام الكثيف تتلمس بصيصاً من نور، وتتطلع إلى رائد يرشدها، ويهديها سواء السبيل، وسرعان ما وجدت رائدها في شخص رجل زانته الحكمة، وصقلته الثقافة، وحنَّكته التجارب."(٤٩)

لقد أحدث الإمام محمد عبده ما يشبه الثورة المعرفية التي تنوعت مراميها؛ذلك لأنه "هو الذي أمد التفكير المصري بالوحدة والانسجام، وطبعه بطابع الدقة والتحديد، وأنه هو الذي استطاع بقوة شخصيته وكتاباته أن يكون مصدر وحي لرجال السياسة والدين والفلسفة في مصر، فنشأت بفضله أربع مدارس مهمة اجتماعية، وسياسية، ودينية، وفلسفية، وجميعها تسير على نهجه، وتستهدف غايته."(٥٠)

إذاً لقد شكَّل محمد عبده بسبب ثراء مادته الفكرية رافداً للعديد من الاتجاهات، وأتى الاتجاه الإنساني ليكون إحدى أبرز هذه الاتجاهات؛ حيث لم يكن الاهتمام بالقضايا الإنسانية حدثاً عفوياً في حياته، بل كان متجذراً في مشروعه الفكري منذ مطلعه، فهو "منذ شبابه المبكر كان يرى أن الإنسان يشف مرآءةً عن الوحدة التامة الناطقة بأن الإنسان جرثومة واحدة، نشأت عنها عائلة واحدة، حواها بسيط واحد."(٥١)

وظل في دفاع مستمر عن مكونات الشخصية الإنسانية، والتي كان من أعظمها العقل، فقلد "كان محمد عبده بتأكيده على أهمية العقل، وضرورة تمهيد الطريق أمامه يؤكد في الوقت

---

(٤٩) رائد الفكر المصري .عثمان أمين صـ٢١٣ المجلس الأعلى للثقافة

(٥٠) المرجع السابق صـ٢١٣

(٥١) نظرات في فكر الإمام محمد عبده، د. مصطفى لبيب، صـ١٥٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠١٠م)

نفسه على سلامة بناء الشخصية الإنسانية، ويبرز ما لها من استقلالية في الفكر والعمل، فجوهر الشخصية الإنسانية يتمثل في العقل."[٥٢]

بل وُصف الإمام محمد عبده وصفاً صريحاً بأنه كان متعمقاً في النزعة الإنسانية. [٥٣]

لقد نظر الإمام محمد عبده إلى المنحى الإنساني بكل مفرداته العلمية والعملية على أنه الضمان الأعظم للحركة الإنسانية في هذه الحياة، فحتى العلوم والمعارف قد تُضحي بلا جدوة إن لم تنطلق من خبرة بالمكنون الإنساني.

يقول الأستاذ الإمام: "أما العلم الذي نحن بحاجة إليه فيظن قوم أنه علم الصناعة، وما به إصلاح مادة العمل في الزراعة والتجارة مثلاً، وهذا ظنٌّ باطل؛ فإنا لو رجعنا إلى ما يشكوه كل منا نجد أمراً وراء الجهل بالصناعات وما يتبعها. إن الصناعات لو وُجدت بأيدينا نجد فينا عجزاً عن حفظها، وإن المنفعة قد تتهيأ لنا، ثم تتفلت منا لشئ في نفوسنا، فنحن نشكوا ضعف الهمم، وتخاذل الأيدي، وتفرق الأهواء، والغفلة عن المصلحة الثابتة، وعلوم الصناعات لا تفيدنا دفعاً لما نشتكيه، فمطلوبنا هو علمٌ وراء هذه العلوم ألا وهو علم الحياة البشرية."[٥٤]

ولقد بيَّن الإمام أن الحركة الإنسانية لا يمكن تصور أهدافها ومراميها بعيداً عن الإنسان وآلامه وآماله. إنه أراد أن تكون منطلقةً للإنسان كما أنها منطلقة من الإنسان، فقال:

"إن العلم الحقيقي هو الذي يُعلم –الإنسان– العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من الأفراد في جامعته، فهو إذن يعلم الإنسان: من هو؟ ومن معه؟ فيتكون من ذلك شعورٌ واحد، وروابط واحدة، هي ما يسمونه بالاتحاد."[٥٥]

ومن براهين تجذر المنحى الإنساني لدى الأستاذ الإمام أنه كان يمثل الخط الفاصل في الخارطة المرضية للأمة تلك الخارطة التي شهدت منحيات عدة، لكن ظل التمثل السلبي لقضايا الإنسان هو الخط الأوضح.

يقول الأستاذ الإمام: "والسبب في فقر البلاد: عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية، التي تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه، وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، إن لم نقل: تجعل الإحساس الأول أقوى من الثاني، وتزيد في إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره."[٥٦]

---

(٥٢) مكانة العقل في فكر الشيخ محمد عبده، د: محمود حمدي زقزوق صـ٥٨ ضمن بحوث ودراسات عن حياة الشيخ محمد عبده وفكره. المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٥م)

(٥٣) أثر الخصوصية العربية في المجتمعية الإسلامية. رفيق العجم، صـ١٣٤. دار الفكر اللبناني، بيروت. ط١ (١٩٩٣م)

(٥٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، د. محمد عمارة جـ١ صـ ١٥٨ مكتبة الأسرة (٢٠٠٨م)

(٥٥) تاريخ الأستاذ الإمام. محمد رشيد رضا جـ٢صـ٤٦٩

(٥٦) المرجع السابق جـ٢صـ٤٧١

ورغم وضوح هذا المنحى الإنساني في فكر الأستاذ محمد عبده، فإن آلية تأثر المراغي به لم تكن تأملاً لجزئياته المتشعبة، أو رمقا لمفرداته المتعددة فحسب، بل كانت هناك إشاراتٌ تلقاها المراغي من أستاذه مثَّلت القاعدة الكلية التي تنضوي تحتها الجزئيات، والعقد الناظم لسلك هذه المفردات، ومن هذه الإشارات ما يلي :

الإشارة الأولى : ما ذكره الأستاذ أنور الجندي من أن المراغي وإن لم يثبت تلقيه الكثير من الدروس عن الإمام محمد عبده إلا أن الثابت اليقين أنه استمع إلى دروسه الحرة في الرواق العباسي، وكانت في التاريخ والاجتماع، ويغلب أن الشيخ محمد عبده كان يقرأ مقدمة ابن خلدون، ويشرح بعض فصولها على طريقته الموسوعية ." (٥٧)

إن هذه الإشارة تبين أن محورية التلمذة المراغية للإمام محمد عبده كانت تتصل اتصالاً مباشراً بالمنحى الإنساني، وذلك من خلال النمط الخاص الذي كان عليه الإمام من إدخال العلوم الإنسانية إلى ساحة الأزهر، الأمر الذي كان يبدو غريباً على خارطة العلوم الأزهرية آنذاك.

الإشارة الثانية : يقول المراغي متحدثاً عن أستاذه : "وداعبني مرة إثر تخرجي من امتحان شادة العالمية هل تعرف تعريف العلم؟ فقلت له نعم، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم، فسردت بعضها، فقال:اسمع مني تعريفاً مفيداً: العلم هو ما ينفعك وينفع الناس، ثم سأل:هل انتفع الناس بعلمك؟ قلت: له: لا ،قال: إذاً أنت لست بعالم، فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً."(٥٨)

لقد غيرت هذه الجملة (العلم هو ما ينفعك، وينفع الناس) من عقلية المراغي، وأضحت اعتبارا تُرى من خلاله النصوص، وتُناقش في ضوئه القضايا، وتُصاغ على أساسه الرؤى.

يقول الدكتور محمد عمارة عن المراغي ومدى استفادته من هذا التوجيه: "الغالب أنه تقبل نصيحته بقبول حسن، وأزمع أن يكون من ذاك اليوم عالماً كما يريد إمامه ينفع الناس بعلمه، فجرى على هذه الخطة في القضاء، ثم في مشيخة الأزهر، وما انفكَّ يدرس، ويعظ، ويكتب، ويفسر القرآن، ويدعو إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ويُسَهِّل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السمحة، ويطبق أحكامها على العصر، أو يطبق أحكام العصر عليها."(٥٩)

الإشارة الثالثة : قول المراغي عن أستاذه : "ودَّعتُه ليلة سفري إلى السودان لتولي منصب قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر سنة (١٩٠٤م)، فسألني: هل معك رفقاء السفر؟ فقلت:نعم بعض كتب آنس إليها، وأستديم بها اتصالي بالعلم، فقال أوَ معك كتاب الإحياء، فقلت:

---

(٥٧) الإمام المراغي.أنور الجندي صـ ٣٨ . دار المعارف. سلسلة(اقرأ)عدد ١١٥ أغسطس (١٩٥٢م)

(٥٨) كلمة في إحياء ذكرى الشيخ محمد عبده للإمام المراغي. مجلة الأزهر.المجلد الثاني عشر صـ ٣٨٥ ،وينظر أيضاً : مشيخة الأزهر.علي عبد العظيم جـ٢صـ ١١

(٥٩) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب .أبو الوفا المراغي. صـ ١٣٧

نعم، قال: الحمد لله، هذا كتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلاً دون أن يكون رفيقه، ثم قال: أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر، والصلح دواء تلتئم به النفوس، وتداوى به الجراح."(٦٠)

لقد كان اختيار الأستاذ الإمام لكتاب الإحياء اختياراً دقيقاً؛ فهذا الكتاب من أوسع الكتب الإسلامية حديثاً عن المكونات الإنسانية من نفس وعقل وروح.

لقد ظل المراغي إذاً يرمق في بواعث الإصلاح لدى أستاذه حجم القضايا الإنسانية، والتي تنوعت مظاهرها، وارتبطت بالمسيرة العلمية والمعرفية له، وحتى حينما أراد المراغي وصف العصر الذي عاش فيها أستاذه كان المنحى الإنساني حاضراً وبقوة، فبين المراغي أن محور الأزمات التي كانت تطل برأسها في عهد محمد عبده كان لها اتصال مباشر بالإنسان؛ حيث تمثلت في إهدار المكون العقلي تحت وطأة التقليد، وإهدار المكون النفسي تحت وطأة الضغط الحضاري الغربي.

"نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة، كل شيء به ممض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة، الأمم الإسلامية تتحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً إلى أحط الدركات، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس."(٦١)

وإن من يتأمل مسيرة التلمذة الفكرية على مدار التاريخ المعرفي والعلمي الإنساني سيجد أن كل تلميذ يظل متأثرا بأعظم مفردة يراها هو في فكر أستاذه.

إنها ستظل مسيطرةً على رؤيته الإصلاحية حتى إنه حينما يصف أستاذه يجعلها محوراً لشخصيته، وهذا ما نراه في حديث المراغي عن أستاذه محمد عبده؛ إذ كان المنحى الإنساني محور تقديمه لشخصيته، فقال: "عبدٌ من عباد الله الذين اختصهم بمزيد فضله، ومنحهم من صفات الإنسانية الفاضلة ما امتازوا به عن أقرانهم في عصرهم وأمثالهم في عصور أخرى، وأشرفوا على الناس يألمون لما عليه الناس من انحطاط علمي وخلق أدبي، ويحاولون تبديل أمم أخرى بهم."(٦٢)

وأعطانا المراغي وصفاً دقيقاً للنظرة التجديدية التي كان عليها أستاذه خاصةً فيما يتعلق بالتعامل مع النص القرآني، فقال: "وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو

---

(٦٠) كلمة في إحياء ذكرى الشيخ محمد عبده للإمام المراغي. مجلة الأزهر المجلد الثاني عشر صـ ٣٨٨

(٦١) المرجع السابق صـ ٣٨٥

(٦٢) المرجع السابق صـ ٣٨٥

يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع، وفي تصوير هدى القرآن، وفي فهم أغراض الدين العامة."[٦٣]

لقد بذر محمد عبده الكثير من بذور المنحى الإنساني في الفكر الإسلامي الحديث، ولم يستطع نقل الكثير من تجليات هذا المنحى إلى ميدان التطبيق العملي، بل الذي قام بهذه المهمة تلامذته من بعده، والذين كان المراغي على رأسهم، فقد قال الإمام محمد عبده تعليقاً على الفرِحين باستقالته من الأزهر : "كأنما يحسب أولئك القوم أن استقالتي من الأزهر محت كل أثر لي فيه، ولقد أخطأوا؛ فلقد ألقيت في الأزهر قبساً إن لم يشتعل الآن فإنه سيشتعل بعد عشرين أو ثلاثين عاماً ."[٦٤]

لقد علق الشخ مصطفى عبد الرزاق على هذا الكلام قائلاً:

" قال الأستاذ الإمام تلك الكلمات بقوة لا تخلص من شوب الألم، ولا أنسى ما حييت ما راعني من مشهد قوته يوم أن احتفل الأزهر بتكريم الأستاذ المراغي في المعرض الزراعي بأرض الجزيرة، ذلك الاحتفال الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الأزهر من يوم خلقه الله، فقد خُيَّل إلي أن أرى ذلك القبس الذي ألقاه الشيخ محمد عبده في الأزهر منذ ثلاثين عاماً قد أخذ يشتعل اشتعالاً لينشر في العالم نوراً."[٦٥]

وإذا كان المراغي قد ظل يرمق المشروع التجديدي لأستاذه الإمام، وظلت مفردات المنحى الإنساني تؤثر في بنية التجديد التي مارسها، فليس معنى هذا أن المراغي كان نسخة مكررة من أستاذه الإمام، بل كان للمراغي طابعه التجديدي الخاص به؛ حيث اهتم المراغي بالإطار التطبيقي لهذا المنحى الإنساني، فقد كان المجال العملي الذي تحرك فيه المراغي أوسع مما لدى أستاذه؛ حيث تنقل المراغي بين العديد من المجالات كالتدريس والقضاء، وتولي مشيخة الأزهر مرتين مما أتاح له فرصة نقل المشروع التجديدي من التأصيل إلى محاولة التطبيق.

---

(٦٣) المرجع السابق صـ ٣٨٨

(٦٤) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب. أبو الوفا المراغي، ص١٤٦

(٦٥) المرجع السابق صـ١٤٦

المطلب الثاني

خصوصية الحالة الإنسانية في القرن العشرين

لم يكن الزمن الذي عاش فيه الإمام المراغي أغلب عمره . وهو القرن العشرون . مجرد حلقة من حلقات التاريخ الإنساني الممتد على هذه الأرض، بل صبغته أحداثه المتوالية والمتشعبة بصبغة خاصة تغير فيها مجرى الوجود الإنساني .

لقد كان القرن العشرون حقاً قرن الأحداث الكبرى في التاريخ الإنساني المعاصر إن لم يكن في تاريخه المطلق، ويعطينا هذه الدلالة المفكر مالك بن نبي حين اختار أن يتحدث عن دور المسلم في نهاية هذا القرن، فقال: لماذا أفردنا وتعمدنا إفراد فترة معينة من هذا القرن؟

أولاً: لطبيعة القرن العشرين التي يتميز بها عن القرون الأخرى كلها، لأنه القرن الذي تحققت فيه تغيرات جذرية، بدت وكأنها ترسم للإنسانية نقطة اللارجوع على محور الزمن، فهو القرن الذي هبَّت فيه أكبر عواصف التاريخ على مصير الإنسانية.

ثانياً: لأنه القرن الذي سجَّل الأحداث الكبرى، سواء في مجال العلم، أو –كما سنرى– في المجال النفسي، أو في المجال الأخلاقي والديني، ففي كل هذه المجالات هبَّت عواصف كبرى يبدو أنها غيرت معالم الطريق." [٦٦]

والعواصف التي أشار إليها مالك بن نبي طالت القضايا الكبرى مثل قضية الدين حيث ظهرت أكبر حركة إلحادية في التاريخ الإنساني لم يكن الإلحاد فيها مجرد نزعة من النزعات الإنسانية الطارئة، بل أضحى مذهباً ودولة.

وقضية التعامل مع الطبيعة واكتشاف أسرارها؛ حيث إن " ما حققه الإنسان في القرن العشرين من اكتشافات علمية تجاوز كل ما حققه منذ بداية التقويم الميلادي."[٦٧]

ولم يكن هذا المستوى غير المسبوق في التعامل مع الطبيعة مجرد طفرة من طفرات الحياة العلمية وانعكاساتها التطبيقية، بل كان في الحقيقة حدثاً إنسانياً محورياً بكل المقاييس، فنحن " مهما صادرنا على الأهمية الكبرى والمحورية للعلم القديم، وأوليناه ما يستحقه من عناية، فلا بد من الاعتراف بأن العلم الحديث لم يكن مجرد بوابة كبرى انفتحت لتنطلق منها ظاهرة العلم انطلاقة عظمى، ويتسارع تقدمها معدلات لا عهد للبشر بها من قبل، بل كان العلم الحديث أيضاً من زاوية العقل، ومن زاوية الواقع على السواء مستوى جديداً ومغايراً من مستويات وجود الإنسان في هذا الكون."[٦٨]

---

(٦٦) دور المسلمِ ورسالته فِي الثلثِ الأَخِيرِ مِنَ القَرنِ العِشرِين . مالك بن نبي.. صـ١٢.دار الفكر– دمشق سورية /.ط١ (١٤١٢هـ) – (١٩٩١م)

(٦٧) أهم اختراعات واكتشافات القرن العشرين د:حاتم صدقي صـ١٢٣ المكتبة الأكاديمية (٢٠٠٧)

(٦٨) فلسفة العلم في القرن العشرين د: يمنى طريف الخولي صـ٥٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠٠٩)

لكن هل سار هذا التطور كله في خدمة الإنسان وتحقيق أهدافه؟

هل حقق له ما ينشده في هذه الحياة ؟

الحقيقة أن هذا التقدم العلمي والمعرفي قد سار في كثير من خطوطه بعيداً عن خدمة الإنسان؛ حيث "أصبحت التكنولوجيا هي العربة التي تقود الحصان، فإن الإنسان لسوء الحظ قد طوَّر قوى تكنولوجية جديدة قبل أن يعرف كيف يستخدمها بحكمة، بل أكثر من ذلك هناك دلائل كثيرة على أن نواح تكنولوجية بأكملها بدأت تخرج من مجال سيطرة الإنسان."[٦٩]

وقد صرح بعض مفكري الغرب بذلك قائلاً: "ستسير التكنولوجيا قُدُما ... ولكن ليس على خطوطنا التي رسمناها لها، وستتقدم ولكن ليس نحو أهدافنا."[٧٠]

وإذا كانت هناك العديد من البراهين على هذه الحقيقة فإن الحربين العالميتين يظلان من أعظم تلك البراهين؛ حيث أعطتنا هاتان الحربتان صورةً واضحةً على العلاقة العكسية التي حدثت بين كل من التقدم العلمي والحياة الإنسانية؛ حتى إننا لنجد روجيه جارودي يقول تحت عنوان (أن تعيش قرناً يحترق): "قد يكون من الحظِّ أن تُولد مرتين في النار، فتولد في عام (١٩١٣م) عشية الحرب العالمية الأولى، وأن تكون في العشرين من عمرك عام (١٩٣٣م) عندما تخيم على أوربا الأزمة الكبرى."[٧١]

لقد دفعت هذه الحرب كثيراً من مفكري العالم إلى إعادة التفكير في كل شيء حتى قرر بعضهم وهو (ج ولز) أن يعيد كتابة تاريخ الإنسانية لعله يتوصل إلى تفسير لما وصل إليه هذا الإنسان.

يقول ولز: " لقد كانت في سنة (١٩١٨م) أسباب متعددة تدعو الكاتب إلى أن يحاول كتابة تاريخ للعالم؛ إذ كانت تلك السنة خاتمة سني الحرب، وأثقلها على الناس، وأكثرها رفعاً للحجب عن عيونهم. كان الإملاق الذي لم يألفه الناس يغشى كل مكان، وكان الأسى والحداد يملأن كل فؤآد، وكانت قصة الموتى والمشوهين قد بلغت الملايين عدًّا، وأحسَّ الناس أنهم وصلوا إلى الذروة من الأزمة المستحكمة في شئون العالم، وقد تملكهم الملل والتقزز حتى أصبحوا وليس في استطاعتهم أن يقدروا ما خبأه لهم القدر من احتمالات معقدة، فلم يكونوا

---

(٦٩) إنسانية الإنسان .بينيه دوبو ترجمة: د. نبيل صبحي الطويل، ص٢٢٨، موسسة الرسالة نقلا عن فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية. د: عبد الحليم عويس، ص١٦٧.دار الصحوة للنشر، ط١ (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)

(٧٠) انظر: فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية.د : عبد الحليم عويس صـ ١٦٧

(٧١) كيف صنعنا القرن العشرين، روجيه جارودي ترجمة: ليلى حافظ، ص٧، دار الشروق ط٢ (١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م)

يعرفون أهم قادمون على نكبة في المدنية، أم هم مقبلون على فاتحة عهد جديد في التآلف الإنساني."[٧٢]

مع هذه الجهود الفكرية ومحاولة فهم ما حدث في الحرب العالمية الأولى فُجعت الإنسانية بالحرب العالمية الثانية، والتي كانت صورةً مكبرةً من حرب العالمية الأولى.

يقول ج. ب. تايلور: "كانت الحرب العالمية الثانية – في جانب كبير نها – صورة مكررة للأولى ... ولقد حارب الحلفاء الأوربيون أنفسهم تقريباً القوى المضادة نفسها في الحرب العالمية الثانية."[٧٣]

ولقد تركت هذه الحرب خسائر مادية فادحة، لكن كانت " الكارثة الحقيقية هي في النفوس، في زوال الثقة في الإنسان، وفي هدم الأحلام الذهبية التي بنتها أطماح الفلاسفة، وصاغتها أيدي المصلحين، ونفخت فيها من روحها قلوب الأنبياء والصديقين ."[٧٤]

لقد كانت الخسائر البشرية حقاً مروعة؛ حيث " هلك أكثر من ٥٠ مليون نفس بشرية في أتون ولهيب هذه الحرب التي تُعَدُّ أكثر الحروب دماراً وسفكاً للدماء في تاريخ البشرية، ومعروف أن (٢٧) مليوناً من هؤلاء قد قضوا نحبهم في أرض النزال والوغى.[٧٥]

ولم تكن آثار هذه الحرب قاصرةً على الساحة الأوربية، بل امتدت لتشمل الساحة العالمية، والتي كان منها مصر؛ حيث تركت هذه الحرب آثاراً على الحياة الإنسانية المصرية[٧٦]

لقد فرض هذا الوضع الإنساني الذي وصلت إليه البشرية على كل مفكري العالم وفلاسفته التفكير في آفاق جديدة ترشد مسيرة هذا الإنسان، حتى قرر(توينبي) أنه ستأتي القرون بعد القرن العشرين، فلا تذكر منه أنه قرن الصناعة الكبرى، ولا أنه قرن الطيارة وعجائب المخترعات، كلا، بل لا تذكر منه أنه قرن الذرة والقذيفة الذرية، وإنما تذكر منه أنه القرن الذي أصبحت فيه الدعوة إلى الأخوة الإنسانية موضوعاً من موضوعات العلم والعمل، وبرنامجاً من البرامج الواقعية التي يتعاون عليها الأقوياء والضعفاء، ولا بستغني فيها قوي عن ضعيف."[٧٧]

إذا كانت هذه هي نبذة عن الواقع الإنساني العام في عهد الإمام المراغي:

- فهل كان الإمام متفاعلاً مع هذه الأحداث؟

---

(٧٢) معالم تاريخ الإنسانية، تأليف: هـ . ج . ولز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد جـ١ مكتبة كتب عربية الالكترونية

(٧٣) أصول الحرب العالمية الثانية، أ. ج. ب تايلور، ترجمة: مصطفى كمال خميس صـ٣٩، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٩٧١م)

(٧٤) الحرب العالمية الثانية رمضان لاوند صـ ٦ .دار العلم للملايين. بيروت، ط ١٤ (١٩٩٢م)

(٧٥) الحرب العالمية الثانية، ومصائر شعوب آسيا وإفريقيا، (ديمتري يفيموف)، صـ٥. دار الموقف العربي بدون

(٧٦) تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي خلال الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩–١٩٤٥) د: محمد متولي صـ٢٢٤، دار الثقافة ط١ (١٩٧٧م)

(٧٧) الإسلام والحضارة الإنسانية .عباس محمود العقاد صـ ٦٤ دار نهضة مصر

- هل كانت حاضرةً في مخيلته؟
- هل مثَّلت باعثاً من بواعث المنحى الإنساني في مشروعه الإصلاحي؟

إن لدينا الكثير من النقول المستقاة من كتبه وخطبه ودروسه تبين أن هذه الخصوصية الزمنية التي شهدها الوضع الإنساني كانت دائماً في مخيلته، وأن انشغاله بالحروب التي تطحن الملايين طحناً لم يكن كانشغال العامة بما يتقاطر إليهم من أخبار الحرب والخوف على ذواتهم أو ممتلكاتهم، بل كان تألماً للإنسانية ،وخوفاً على مستقبل الإنسان.

إننا لا نجد نقلاً يبين لنا مدى هذا التأثر أوضح من قول الإمام المراغي وهو يقارن بين هذا العذاب الذي اصطلي به العالم في وقته وبين ما حاق بالأمم السابقة كعاد وثمود، فبعد أن تحدث عما أصاب هذه الأمم قال: "وأين هذا من الرعب المستولي على العالم جميعه الآن؛ حيث لا يعرف أحدٌ عاقبة ما تصل إليه ويلات الحروب، ولا يعرف هل يكون له مدىً من العمر يستمتع فيه بأهله وزوجه وأولاده وأصحابه، أو يُختطف في لحظة من اللحظات في البر أو في البحر ومن صاعقة السماء أو من خسف الأرض، وهذا الرعب تصاحبه صواعق القذائف من الجو، ومن الأرض، ومن البحر، ويصاحبه الحرق والغرق وقذائف الطائرات لا ترحم طفلاً في مهده، ولا مريضاً في سريره، ولا ناسكاً في معبده، ولا مقغداً، ولا شيخاً فانياً."[٧٨]

ويقول الإمام: "فهذه المحن والويلات قد تُوجِّه الناس إلى الواحد المعبود، يطلبون النجاة فلا يجدونها إلا عنده في وحيه وهديه، وقد تنسيهم هذه الشهوات الجامحة فيبحثون عن الشفاء .ومصائب الأمم لا تنسى سريعاً، وضررها لا ينكشف قريباً، وآثاره تبقى ماثلةً طويلاً، وفي هذه الحقبة تفكر في الدين وتعود إليه إن شاء الله."[٧٩]

إنه رأى أن هذه الأهوال التي تعيشها الإنسانية تحتم النظر والتفكر من جديد في كنه الدين ورسالته في هذه الحياة؛ لعل هذا التفكر يقود إلى حركة الرجوع إليه. "ولو كنت أظن أن صوت مسلم شرقي يُسمع في العالم الغربي المسيحي من بين قصف المدافع وأزيز الطائرات وهدير المتفجرات لناديت بالسِلم، ودعوت الأمم إلى حكم العقل، وحرَّكت فيهم عاطفة الإنسانية، لكني أشعر أنه أملٌ ضائع، فليس أمامي سوى التوجه إلى الله جل شأنه."[٨٠]

ويقول أيضاً: "في هذا الوقت الذي تتلاطم فيه أمواج الشرور، وتستعر فيه نار الحقد، وتختفي فيه عاطفة الإنسانية، وتتحرك غرائز السباع الضارية لا منجاة للناس إلا بالرجوع إلى الله سبحانه والاستعانة به."[٨١]

---

(٧٨) مجلة الأزهر. المجلد الحادي عشر صـ ٧٤٠ .كلمة رمضان لفضيلة الإمام المراغي في احتفال الأزهر بعيدي الهجرة والميلاد الملكي

(٧٩) مجلة الأزهر. المجلد الحادي عشر صـ ١٩٨

(٨٠) مجلة الأزهر المجلد الحادي عشر صـ ٣٢١ خطبة الأستاذ الإمام عقب صلاة الجمعة

(٨١) مجلة الأزهر المجلد الحادي عشر صـ ٥١٣ كلمة رمضان لفضيلة الأستاذ الإمام

لقد أفلست الحياة المادية في هذا العهد إفلاسا منقطع النظير حتى لم يتبق لأولي الإصلاح أملٌ سوى انتظار معجزة إليهية خالصة، فنجد المراغي يستغيث قائلاً :

"إلهي أسألك أن ترفع عن العالم غضبك، وأن ترسل عليه رحمتك، وأن تعيد إليه عهد سلام يداوي جراحه، ويكشف بلواه، وأن توفظ فيه بنفحة من النفحات الإلهية عاطفة الإنسانية، وتزيل عنه أحقاده التي أكلت القلوب، وغطَّت على العقول، وأظمأت النفوس إلى الدماء، وحببت إليها الخراب والدمار."(٨٢)

ويقول أيضاً واصفا الواقع الإنساني آنذاك: "مئات من الناس يتساءلون اليوم ما مصير الإنسانية؟ كلما حدث حادث في كتلة الشرق أو كتلة الغرب عادوا إلى السؤآل المتكرر المتحير: ما مصير الإنسانية؟ هل تنفجر براكين الحرب العالمية؟ وإذا انفجرت هذه الحرب فهل يستخدمون فيها الفذائف الذرية؟ وإذا استخدموا فيها القذائف الجهنمية فما نتيجتها بالنظر إلى المنهزمين؟ وما نتيجتها بالنظر إلى المنتصرين ؟ وما نتيجتها بالنظر إلى سائر الأمم التي لا تُحسب مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؟ "(٨٣)

ولقد رأى الإمام المراغي أن المخوَّل بهم إنقاذ البشرية من هذا الضياع هم المسلمون وحدهم، ودعاهم لأن يستعدوا لأداء هذا الدور "لا يأس من روح الله، وقد آن للمسلمين أن يستعدوا لحمل نصيب وافر من مدنية فاضلة روحية تخلف هذه المدنية الفاسدة التي جعلت العالم أتوناً، وساقت إلى ذلك الأتون أبناءها طعاماً ووقوداً وآن لنا أن نفكر في حياة عزيزة يصفو لنا فيها العيش، فلنستمتع بثمرات جهودنا، ونضرب في العلم بسهم، وننصر مدنية فاضلة."(٨٤)

لكن أنى للمسلمين أن يضطلعوا بهذا الدور وهم غافلون عن البحث في حقيقة هذا الإنسان، والكشف عن الرؤية الكلية التي جاء بها الإسلام حياله لتكون تلك الرؤية حجر الزاوية في إرجاع هذا الإنسان إلى رشده.

من هنا انطلقت الرؤية التجديدية للإمام المراغي كواحد من مفكري هذه الأمة الذين تحتم عليهم القيام بواجبهم الفكري، فبحث بحثاً حثيثاً في أصول هذا الدين، وسبر مقاصده، وأزال الكثير مما علق برؤيته لمكونات الإنسان وطبيعة رسالته في هذه الحياة، فشكل كل ذلك وغيره ما أسميناه المنحى الإنساني .

---

(٨٢) مجلة الأزهر المجلد الحادي عشر صـ ٥١٤ كلمة رمضان لفضيلة الأستاذ الإمام

(٨٣) الإسلام والحضارة الإنسانية، عباس العقاد صـ ٦٤

(٨٤) مجلة الأزهر المجلد الحادي عشر صـ ٧٨ .كلمة رمضان لفضيلة الأستاذ الإمام

المطلب الثالث

تراجع التكوين الذاتي للشخصية المسلمة

لم يكن بناء الشخصية الإنسانية أمراً عفوياً حدث أثناء التعلق بمبادئ هذا الدين، بل إنه كان البوتقة الحقيقية التي انصهرت فيها كل مبادئه.

لقد أعاد الإسلام بناء العلاقة بين مكونات هذا الإنسان من روح، وجسد، وعقل، ونفس، وكبح سيطرة مكونٍ ما من مكونات الشخصية الإنسانية على بقية مكوناتها، وأوجد نسقاً قيمياً يشكل مفردات التوازن بين هذه المكونات، وكل هذا كوَّن ما عُرف بالشخصية المسلمة، والتي تركت لنا المرويات التاريخية الموثوقة الكثير من مظاهر تشبعها بالمنهج الإسلامي.

ومن الطبيعي أن تخضع هذه الشخصية للسنن المبثوثة في هذا الخلق من الرفعة والضعة، والنهوض والكبوة؛ لذا فقد تراجعت تلك الشخصية تحت ضغط الواقع المتجدد، واختلت العلاقة بين مكوناتها، لكن مع هذا لم تفقد الشخصية الإسلامية كل قوتها الذاتية التي صاغها لها الإسلام، بل ظلت تقاوم هذا التغير وتوجد قدراً من التوازن أبقى الأمة الإسلامية في موضع الريادة ردحاً طويلاً من الزمن، لكن كانت النكسة الحقيقية وقاصمة الظهر في المنحى التاريخي للأمة الإسلامية وصول الخلل إلى محرك الشخصية الإسلامية وسر ذيوعها وانتشار ريادتها، وهو المكون الروحي والمعرفي حتى قال الأفغاني متحدثاً عن الشرق: " ما هبط عن جليل مرتبته، ورفيع منزلته، ولا استولى الفقر والفاقة على ساكنيه، ولا غلب الذل على عامريه، ولا سُلِّطت عليه الأجانب، فاستعبدت أهله إلا لإعراض الشرقيين عن الاستنارة بنور عقولهم، وتطرق الفساد إلى نفوسهم."(٨٥)

إننا وكما يقول الدكتور البهي: "نلحظ أن السيد الأفغاني قد أرجع كل مظاهر الجمود والتدهور والانحراف إلى سبب أساسي هو انهيار الشخصية."(٨٦)

ونفس الأمر قرره الإمام محمد عبده حين قال: "إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب الخذلان لا نجد إلا سبباً واحداً: وهو القصور في التعليم الديني: إما بإهماله جملةً كما هو في بعض البلاد، وإما بالسلوك إليه من غير طرقه القويمة كما في بعض آخر."(٨٧)

إن معنى هذا أن الشخصية الإسلامية قد ابتعدت عن النظرة الشمولية للمنهج العلمي في الإسلام، وضعف لديها الاهتمام بالعلوم الطبيعية، وبات الهم الأغلب هو تقرير وإعادة وتكرار الجهد المبذول سابقاً في العلوم النقلية، وهنا حدث التحول في الشخصية الإسلامية، ولو أن الأمر كان مقتصراً على التدهور الحضاري للأمة دون أي مؤثرات خارجية لكان الخطب

---

(٨٥) الشرق والشرقيون للأفغاني

(٨٦) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د: محمد البهي. صـ١٦٧. مكتبة وهبة ط١٠

(٨٧) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢، صـ٥١١ باختصار

يسيراً، ولخضعت الأمة إلى إعادة سريعة لهيكلة الذات، لكن ما عقَّد الأمر، وأربك مسيرة الشخصية المسلمة هو ظهور قوة حضارية علمية ومعرفية أخرى أخذت ما لدى الأمة الإسلامية من موروث حضاري، وقبل ذلك أخذت منها الشعلة التي أضاءها الدين في أنفسهم، فانطلقت تقارع الأمة الإسلامية، وتقضي على ما تبقى لها من حركة.

وبالرغم من أنها لم تكن المرة الأولى التي تجابه الشخصية المسلمة هذا التحدي الخارجي؛ حيث إنها قد واجهت أضعافه في الانطلاقة الأولى لها إلا أن الفارق أنها تواجهه هذه المرة دون الجذوة التي منحها لها الإسلام. لقد واجهته هذه المرة بمكون روحي مختل خلد في الكثير من خطوطه إلى السبيل المضاد للإيجابية الإسلامية، وأوجد إطاراً ضيقاً خانقاً للانطلاقة التي أرادها الإسلام. لقد واجهته هذه المرة بمكون علمي أصابه ما أصاب بقية المكونات، واختلَّت العلاقة بينه وبين المسيرة الحياتية للأمة.

يقول إقبال: "ظل التفكير الديني في الإسلام راكداً خلال القرون الخمسة الأخيرة، وقد أتى على الفكر الأوروبي زمنٌ تلقى فيه وحي النهضة الإسلامية، ومع هذا فإن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب! ولا غبار على هذا المنزع، فإن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهاراً لبعض الجوانب الهامة في الإسلام، وكل الذي نخشاه هو أن المظهر الخارجي البراق للثقافة الأوروبية قد يشل تقدمنا فنعجز عن بلوغ كنهها."(٨٨)

ومن الطبيعي ألا يحدث هذا الخلل في مسيرة الشخصية المسلمة دون أن تهز وجدان مفكريها، وتلح على أرباب التعقل في الأمة أن يبحثوا القضية ويقفوا على أبعادها ويشخصوا الداء ليصفوا العلاج؛ لذا فإن "الشعور وتكون الوعي العربي والإسلامي بهذه المشكلة التي بدأت تنساب داخل الكيان العربي الإسلامي وتنخر وجوده من الداخل ظهر مبكراً أيضاً عند طائفة من رواد هذا العالم ومفكريه بدءاً من نهاية العصور الذهبية التي عاشها المجتمع الإسلامي صعوداً، أو العودة إلى العد التنازلي سقوطاً مع ما صاحب ذلك من مد وجزر بحسب الزمان والمكان والأحوال، وهذه الفترة الثانية من حياة الأمة العربية الإسلامية وعلى طولها الزمني واتساع رقعتها الجغرافية لكل شبر شمله الإسلام يشكل من الناحية التاريخية للفكر الإسلامي فكر الأزمة، أو فكر المحافظة على الذات الإسلامية."(٨٩)

وامتد التفكير في كنه هذه المعضلة إلى العصور المتأخرة، بل يمكن القول بأنه أضحى أكثر إلحاحاً وتطوراً من ذي قبل؛ لأن القضية تعقدت أكثر من ذي قبل، حتى "لقد أجمعت كل المصادر التاريخية والأدبية التي وصفت تلك الحقبة الزمنية . سواء منها الوطنية أو الأجنبية.

---

(٨٨) تجديد الفكر الديني في الإسلام. محمد إقبال صـ مكتبة الاسكندرية (٢٠١١)

(٨٩) منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي. علي بودربالة صـ٣ .دار قرطبة ط١ (١٤٢٦ . ٢٠٠٥م)

على أن درجة هذا التخلف والتحلل قد بلغ النهايات القصوى حتى لا يكاد القارئ في عصرنا الراهن يتخيل تلك الأوضاع مهما جنح به الخيال."[٩٠]

لقد مثلت قضية تشخيص واقع الشخصية المسلمة والبحث في مكوناتها التي صاغها الإسلام من ناحية والواقع الذي وصلت إليه من ناحية أخرى القضية المفصلية في مفهوم الإصلاح الديني المعاصر كما يقول الدكتور البهي [٩١]

ولقد كان المراغي مبصراً ما وصلت إليه الشخصية المسلمة، واعيا بحقيقة التغيير الذي أصابها، وكيف أنه تغير في بنيوية التركيب، وليس تغيراً في الهيكل الخارجي فحسب فقال واصفاً حال المسلمين في الأعصر المتأخرة : " صاروا فى حاجة إلى غيرهم فى كل مرافق الحياة، ووصل بهم الجهل إلى حد أن ظنوا أن كل ما عند غيرهم خير يُجلب، وكل ما عندهم شر يُنبذ، وأنه لا حياة لهم إلا بالقدوة.. القدوة حتى فيما علم غيرهم شره وفساده، وحاولوا نبذه وطرحه، وقد أصبح المسلمون مُثلاً سيئة للإسلام، يحتج بهم عليه والدين منهم برىء."[٩٢]

،من هنا راح يقارن بين العهد الذي صيغت فيه الشخصية المسلمة تحت الذاتية الإسلامية وبين العهد الذي تعطلت فيه تلك الصياغة

يقول المراغي: "جرت السنة البشرية أن الدول تتألف محفوزة بالحاجات الحيوية، فقد توجد قبائل متفرقة من جنس واحد تجد نفسها مهددةً بعدو قوي مجاور لها، فتدفعها الضرورة للتقدم والتضافر التماساً لمزايا الوحدة، وقد تصادف من صعوبات البيئة ما يدفعها لتطلب زيادة الأيدي العاملة، فتضطر للترابط الوثيق للتغلب على ما يصادفها من عقبات المعيشة، وقد تبلغ درجة حسنة من التهذب، فتطلب زيادة الاستمتاع بنعم الحياة، فيندمج بعضها في بعض، فتصبح أمة على شيء من التفكك، ثم لا تزال تدفعها الحوادث لإحكام عرى ترابطها في أجيال متعاقبة حتى تصير وثيقة الربط، قوية التماسك، ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية، فقد تألفت على أصول ومبادئ هي مثلٌ عليا للحياة الشخصية والاجتماعية."[٩٣]

ويقول أيضا في هذا السياق: "على أساس العقل قامت الدولة الإسلامية، وقام العلماء الصالحون يفسرون الكتاب، ويوضحون العقائد والشرائع، فكانوا أئمة الهدى، ومنار الرشد،وساسة العدل، وأساطين الحكمة، وكانوا لله، وفي سبيل الله لا لأنفسهم ولا لأئمة الجور والطغيان، ولما

---

(٩٠) رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث. د: محمد عماره صـ ١٠ دار الشروق ط٣(٢٠٠٧م)

(٩١) الفكر الإسلامي الحديث، د. محمد البهي صـ٣٢٩

(٩٢) تفسير القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمد مصطفى المراغي صـ٧٦ ،الأزهر الشريف سلسلة البحوث الإسلامية السنة الثامنة والثلاثون الكتاب السابع (١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م)

(٩٣) مجلة الازهر. المجلد التاسع صـ٩

زحزح الناس الأساس، ولم يرعوا حرمة العقل في مصائر الأمور زحزح الله الخير عنهم، وأبعدهم عن فقه الدين كما أبعدهم عن الدين."[٩٤]

ولم يكتف المراغي بإعطاء صورة عامة عن هذا التغير الذي أصاب الشخصية المسلمة، بل رصد لنا بعضاً من المظاهر التي رافقت هذا التغير، فقال عن الأمة الإسلامية "وقع المسلمون فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم، تفرقوا في العقائد، وتفرقوا في الفروع، ولو أنهم حكَّموا قاعدة القرآن وردوا إلى الكتاب والسنة من غير تعسف في التأويل لضاقت دائرة الخلاف، ولما بقيت متسعة كما نراها اليوم . أكثر من ألف سنة . وقد ضلت الأمة الطريق، ولعبت بها الأهواء، واختلت الأعمال، وحل بها الشقاء."[٩٥]

ويشير المراغي إلى تغيرٍ في كنه الفعالية التي كانت إحدى الميزات الجوهرية للشخصية الإسلامية من جوهر يثمر حركة وسعياً، ويبدع بناءً وعمراناً إلى مجرد مظهر، أو ظاهرة صوتية فيقول: "وما ابتليت أمة من الأمم بشرٍّ من كثرة القول، وقلة العمل، ذلك هو الداء الدوي، والعقاب الذي ينزله الله تعالى على من غضب عليه من عباده، وحاد عن الجادة وعن السنن الإلهية، وغفل عن سنن الكون، وعن هدى الاجتماع.

الأمة الإسلامية مبتلاة منذ أزمان طويلة بهذا، ومبتلاة بالجدل العقيم، تجادل في أصول العقائد، وتجادل في الفروع، تجادل فيما هو أقل شأناً من الأصول والفروع، راضية بهذا الجدل، لا هيةً عن سر الإسلام وسر عظمته، وعن سر دعوة الرسول الأكرم، وعن مقومات الأمم التي لا تستطيع أمةٌ أن تحيا، وترفع رأسها إلا بها، ولا أن تسمع الناس كلمتها إلا بها، ولا أن تعيد مكانها في العز والمجد إلا بها. سُحرت بالطعام والشراب، وتلهَّت بالأحاديث وبالمظاهر الكاذبة، وانصرفت عن طرق المجد الصحيحة، وغفلت عن الكون وعما أودعه الله فيه من أسرار، ومن قوىً خلقت للانتفاع بها، وابتعدت عن التحلي بالعزائم الصادقة والأخلاق القويمة التي كانت عماد الرسول الأكرم في دعوته وإبلاغ رسالته."[٩٦]

ورصد المراغي كذلك انفكاك العرى التي أقامها الإسلام بين أتباعه، فالأمة قد "انقسم أبناؤها، وتعادوا، وأقاموا الحروب بعضهم على بعض، كلٌّ له مذهب ينصره، ورأيٌ يدافع عنه، كلٌّ ينظر إلى مصلحة خاصة فردية، أو قومية أو جنسية، أو مذهبية، فصارت القوى من عوامل فناء الأمة لا من عوامل بقائها، ومن أسباب شقائها لا من أسباب سعادتها."[٩٧]

---

(٩٤) مجلة الأزهر. المجلد الحادي عشر صـ ١٩٧

(٩٥) الدروس الدينية التي ألقاها الإمام المراغي في شهر رمضان سنة (١٣٥٦هـ)، صـ٤١، مطبعة وزارة الأوقاف (١٩٣٨م)

(٩٦) مجلة الازهر. المجلد الثامن ج١ صـ (ب)

(٩٧) المرجع السابق المجلد الثامن ج١ صـ (ب)

ولم يكن هذا التفسخ الذي أصاب شبكة العلاقات الاجتماعية قاصراً على الدائرة الخارجية، بل كان نافذا إلى الدوائر الاجتماعية الضيقة.

يقول المراغي: "لم يقف أمر التخاذل بينهم عند التخاذل بين الأمم، بل تخاذلوا جماعات، وتخاذلوا أفراداً، وتقطعت الروابط بينهم، فلا يعنى المرء إلا بنفسه، لا يبالي في سبيل مجده أن يهدم مجد غيره ولو لم يقف له في طريق، ولا يبالي بمن مرض، ولا بمن جاع، ولا بمن ابتُلي كأن الدنيا كلها شخصه، فإذا سلم، فقد سلمت الدنيا جميعا."(٩٨)

لقد أدرك المراغي أن ما أصاب الشخصية الإسلامية لا يمكن التعامل معه بصورة فردية من قِبل مفكري هذه الأمة، بل يحتاج إل جهد جماعي، ورؤى متعددة تُطرح تحت سياق من القواعد الحاكمة " فتؤلف الجماعات من المفكرين والقادة في الأقطار الإسلامية للبحث عن أدواء الأمم الإسلامية وأمراضها في الدين والاجتماع والأخلاق والسلطان، وتفنى في هذه الجماعات أنانية الأفراد، بل وأنانية الجماعات والأجناس، وينظر إلى الأمة باعتبارها طائفة واحدة يحدوها الاتجاه إلى القبلة والصلاة إليها، فلا يُنظر إلى جنس، ولا إلى مذهب، بل إلى وحدةٍ خلع الإسلام عليها ثوبه، وجمعها تحت رايته، فاصطبغت بصبغته، ودانت بكتابه."(٩٩)

ويجب أن يُفَرَّقَ في عملية البحث عن أدواء الشخصية الإسلامية بين مفردات القضايا التي تشكل في الأعم الأغلب مظاهر للتراجع الذي أصاب تلك الشخصية، وبين محور التغير الذي أصابها، والداء الأصيل الذي غير معالمها، وقطع خطوط التواصل بينها وبين منهجها الإسلامي الفاعل، فبالرغم من أن "لدى الأمة الإسلامية قضايا كثيرة معقدة: قضية الرجوع بالدين إلى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين، وقضية التعليم الديني وغير الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب في الحياة، وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة، وقضية حماية الدين من العدوان، والدعوة إليه كما أمر الله بالحكمة، وقضية نظام الأمم الإسلامية، وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين، وتدبير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحيا،ة وينتفع المجتمع بهم."(١٠٠)

بالرغم من تعدد تلك القضايا إلا أن ذلك لا ينبغي أن ينسينا أن هناك قضيةً تمثل الإطار المحوري في كُنه التغيير الذي أصاب الشخصية الإسلامية.

يقول المراغي: "وهناك قضية هي أهم القضايا، هي مقومات الأمم الإسلامية التي يجب أن يُحافظ عليها ويُبنى المجد على أساسها، وهي قضية دقيقة يثور من أجلها عن قصد أو غير

---

(٩٨) المرجع السابق. المجلد الثامن ج١ صـ (ج)
(٩٩) المرجع السابق المجلد الثامن ج١ صـ (ج)
(١٠٠) المرجع السابق. المجلد الثامن ج١ صـ (ج)

قصد خلافٌ بين المتعلمين والمتدينين وغير المتدينين، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه، ونظام التقاليد والعادات."[١٠١]

وبعد أن رصد المراغي ملامح التغيير التي أصابت الشخصية الإسلامية في العصور المتأخرة رفض رفضاً قاطعاً أن يكون ذلك مدعاةً إلى قطع الصلة بماضي الأمة وتراثها، فقال: "ولدى الأمة الإسلامية ماضٍ يجرجر أثواب الفخر والشرف في كل ميادين الحياة: في ميدان العلم، وفي ميدان الفنون وفي ميدان السلطان والعز، وميدان التشريع والقانون، لكن بعض الناس يحاولون طمس أعلام هذا الماضي، والتخلص منه، والزراية عليه، والحط من شأنه."[١٠٢]

وإذا كان المراغي يرفض هذه الدعاوي التي خرجت من عباءة الدوائر الاستشراقية فإنه لا مناص من أحد أمرين: إما الركون إلى التغني بهذا الماضي وترديد أمجاده، أو جعل هذا الواقع دافعاً من دوافع الحركة التجديدية، وبرهاناً من براهين حتميتها. والمتتبع لفكر المراغي نظرياً وتطبيقاً يدرك أنه سار في الاتجاه الثاني؛ حيث شكَّل هذا التراجع في بنيوية الشخصية المسلمة باعثاً من بواعث التركيز على محورية الإنسان في تجديده الديني.

(١٠١) المرجع السابق. المجلد الثامن ج١ صـ (ج)
(١٠٢) المرجع السابق. المجلد الثامن ج١ صـ (ج)

المبحث الثاني

آثار المنحى الإنساني في الرؤية التجديدية للإمام المراغي

المطلب الأول: المنحى الإنساني وتجديد التعامل مع النص القرآني

تقاس عظم التجليات لأي نظرة تجديدية بمدى إسهامها في التعامل الجدي مع أصول المنهج المبتغى تجديده، وحين كان القرآن الكريم الدستور الحاكم في المنهج الإسلامي، وحين كان المنحى الإنساني هو عماد النظرة التجديدية للإمام المراغي كان ولابد من وجود مسار للتلاقي بينهما.

لقد تعددت المناحي في التعامل مع النص القرآني ما بين التطرق إلى بيان ألفاظه، والبحث عن أوجه بلاغتها وتراكيبها، والتطلع إلى الكشف عن دقائق مراميها، والاهتمام باستباط أحكامها. وتنوعت تبعاً لذلك نزعات المفسرين، " فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية، فتوسع توسعاً كبيراً في شتى الآيات المتصلة بهذه المعاني، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية، فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي، وهكذا من توسع في الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله في الأنفس والآفاق وغير ذلك."[١٠٣]

إن هذا يعني أن القرآن الكريم كان بمثابة المورد الأول لحركة التجديد الإسلامي قديماً وحديثاً، ويأتي المراغي ليكون واحداً من أبرز أعلام المدرسة الاجتماعية في التفسير، تلك المدرسة التي أرسى دعائمها، وأبان أسسها الإمام محمد عبده كما يقول الدكتور عبد الله شحاته: "كان الاستاذ الإمام صاحب مدرسة في الإصلاح الديني عموماً، وفي تفسير القرآن على وجه الخصوص، واستطاع الإمام محمد عبده أن يجرّدَ تفسير القرآن من كثير من الشوائب التي علقت به، فكان تفسيره فتحاً جديداً في عالم التفسير، ومرحلةً من مراحل تطوره استطاع الإمام أن يرسي قواعدها، وأن يضع أساسها، ويثبت مفاهيمها في نفوس أتباعه."[١٠٤]

ولقد كشف مؤسس هذه المدرسة الاجتماعية في التفسير عن الحاجة إلى نظرة تجديدية في التعامل مع النص القرآني، فقال : "إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيه الذي بين لنا ما نزل إلينا ." [١٠٥]

لقد استحق ما أسسه الإمام محمد عبده، وسار على نهجه تلامذته من بعده . والذين كان من أبرزهم المراغي . أن يُطلق عليه اتجاهٌ في التفسير؛ إذ "مفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموع الأراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري كالتفسير مثلاً بصورة أوضح من

---

(١٠٣) مناهج المفسرين، د: منيع عبد الحليم محمود. صـ٧ مكتبة الإيمان ط٢ (٢٠٠٣م)

(١٠٤) منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، د: عبد الله شحاته صـ ١٩٥ .مطبعة جامعة القاهرة (١٩٨٤م)

(١٠٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). محمد رشيد بن علي رضا، جـ١، صـ٢٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م)

غيرها، وتكون غالبةً على ما سواها يحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولوَّنت تفسيره بلونها."[١٠٦]

لقد كان المراغي واحداً من أعلام المدرسة الاجتماعية في التفسير تلك المدرسة التي حتَّم وجودها ظروف العالم الإسلامي التي تعقدت ملامحها؛ حيث إن "رجال المدرسة وهم يواجهون أو يعاصرون يقظة العالم الإسلامي الذي انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كغيرهم من المصلحين إلى تلمس السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي وَفْقَ أحكام الشريعة الإسلامية؛ بحيث تسبق هذه الأمة أمة الغرب أو تلحق بها مع التزامها بمبادئ دينها، وهي مهمة غير ميسرة تحف بها العقبات، وتحيط بها المتاهات، وتزيغ بها الأهواء، وتلتبس بها السبل، فإن أحاط صاحبها نفسه بنور القرآن الكريم، ولم يَحِدْ عن نوره يَمْنَةً أو يَسْرَةً لم يزل على جادة الحق حتى ينجو وينجِّي، وإلا هلك وأهلك."[١٠٧]

لقد ابتدأ المراغي رؤيته التجديدية المتشبعة بالمنحى الإنساني من البحث في الغاية التي نزل من أجلها القرآن الكريم، وجعلها بمثابة البوصلة الحقيقية الموجهة لكافة أطر الفهم له، والقاعدة التي تنسبك تحتها كل النظرات الجزئية في هذا الكتاب. لقد كان هذا المقصد الكلي واضحاً تمام الوضوح لدى الإمام المراغي؛ حيث أفصح عنه في العديد من خطبه ودروسه وكتاباته.

لقد أخذ المراغي يقارن بين معجزات الرسل السابقين . صلوات الله عليهم . وبين معجزة الرسول الخالدة وهي القرآن، ويبين أن محورية الخلود لهذه المعجزة ما حوته من هداية الروح والعقل، فبعد أن ذكر بعضاً من معجزات الرسل السابقين . عليهم صلوات الله . قال : " لا شئ من ذلك باقٍ أمام العقل والفهم تستمد منه الحكمة ويشفي أمراض المجتمع ،ويقيم العدل ويعرف الناس ما يليق أن يعرف من الغيب، ويضيئ الطريق أمام الإنسان، فيضع لنفسه أحسن النظم وأكمل القوانين لكن القرآن باق لا يبيد،ولا ينقطع في كل حين تجدد آياته وتذكر الناس بعظاته وهو الحصن إذا اشتد الكرب والملاذ إذا عميت السبل وتشابهت الأمور وهو سفينة النجاة من هذا البحر المضطرب الذي تغشاه الظلمات ."[١٠٨]

ويقول الإمام المراغي منتقداً إصرار البعض على إلصاق كل ما يسطره العلم الحديث بالآيات القرآنية : " ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارَّة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الخير أن ندَع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع، ويهدم الوثنية، ويجتثها من أصولها، ويرفع العقل البشري إلى المستوى اللائق به، ويأخذ بيد الإنسان إلى المقام الأسمى اللائق بخلافته في الأرض، ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين،

---

(١٠٦) اتجاهات التجديد في التفسير، د. ابراهيم الشريف صـ١٩٩ دار السلام (٢٠٠٨)

(١٠٧) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي جـ٢صـ٧٧٧.إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية طـ١ (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)

(١٠٨) مجلة الأهرام عدد (١٩٤٠/٤/٢١)

ويغرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة والرضا والشجاعة، ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار إليه من وجوب النظر فيما صنعه الله، خيرٌ لنا أن نفعل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم، ويستدلون عليها، ويحملون النتيجة إذا تغيرت معارفهم، وأثبت العلم نقيضها. نعم إن في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم إلا بمعارف فلكية وطبيعية، ولكن تلك الآيات لم تُسق لتقرر تلك المعارف، وإنما أنزلت للهداية والعبرة، فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة، وإنما هو كتاب هداية، وتنظيم لعلاقة الإنسان بربه، وعلاقة أفراد الإنسان بعضهم ببعض." (١٠٩)

لقد أراد المراغي هنا أن ينقِّي الغاية الحقيقية من نزول القرآن الكريم . وهي الهداية . من كل ما عساه أن يجور عليها حتى إنه لم يكن من منهجه الخوض في المبهمات التي سكت عنها القرآن. (١١٠)

لقد كانت غائية الهداية البشرية الشاملة حاضرةً وبقوة في عقلية المراغي وهو يتناول الآيات القرآنية التي تبين أصول الرسالات الإلهية، فمثلاً عندما تعرَّض لقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدين مَا وصى بِهِ نُوحاً...الآية}(١١١) ، نجده يقول: " والحكمة فى هذه الشرائع الإلهية: أن الإنسان إذا تُرك إلى مداركه الحسية ونظرياته العقلية، ضلَّ وكره الحياة، وكان أشقى من أنواع الحيوان، وشقاؤه يكون من ناحية العقل نفسه، فقد دلَّت التجارب على أن العقل غير المؤيَد بالشرع الإلهى يذهب مذاهب شتَّى، منها الصواب ومنها الضلال، وهو فيما عدا المحسَّات والماديات ضلاله أكثر من صوابه، وهذه آراء العلماء فى الفلسفة والأخلاق، يشبه بعضها هذيان المحموم، وبعضها لا يُدرَك له محصل على كثرة ما يقولون من مقدمات وبراهين. وهذه مذاهب الاجتماع قديمها وحديثها، لم تسعد الأُمم بها، فلا بد من هداية تصدر عن المعصوم يحملها من عند الله العلى الحكيم، وقد دلَّت التجارب أيضاً على أن الأُمم التى عملت بالهدى كله أو بعضه سعدت بمقدار ذلك الهدى الذى عملت به."(١١٢)

لقد أبان لنا هذا النقل كيف أن الغاية من هذا الكتاب وارتباطها بالمنحى الإنساني والاجتماعي كان واضحاً لدى الإمام المراغي، فقد قرر أن الغاية من هذا الكتاب هي الهداية تلك الكلمة التي تكررت في الحديث القرآني، وتعددت صورها ما بين هداية عقلية وهداية قلبية، ما بين هداية فردية، وهداية اجتماعية.

لقد بيَّن الإمام المراغي أن من الخطأ الشنيع في التعامل مع هذا الكتاب النظرة الفاصلة بين الغاية والوسيلة، فكل المعارف الإنسانية إنما هي وسيلة إلى غاية تلك الغاية هي الهداية.

---

(١٠٩) بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها.محمد مصطفى المراغي صـ ١٢ مطبعة الرغائب (١٣٥٥هـ . ١٩٣٦م)

(١١٠) الإمام محمد المراغي ومنهجه في التفسير .د: صلاح الدين طه دار الكتب المصرية (١٤١٨.١٩٩٧)

(١١١) سورة الشورى أية رقم ١٣

(١١٢) تفسير المراغي صـ٣٣

يقول المراغي: " لولا الدين لما احتمل الإنسان هذه الحياة، فإنها على قصرها مملوءة بالمصائب والويلات، فمن فقر مدقع، إلى مرض مزمن، ومن فقد الأهل والعشيرة، إلى فقد العزة والجاه، ومن شرف رفيع، إلى ذلة ومهانة، واحتمالُ هذا كله إذا لم يكن أمام الإنسان أمل ينتظره، وحياة دائمة فيها سعادة دائمة ليس فى طاقة الإنسان، فالاعتقاد بالآخرة يُرَفِّه العيش، ويجعل المؤمن فى سعادة نفسية، ويقويه على احتمال الصعاب، وعلى الصبر على معاشرة الناس، فلا بد من نظام يُعتقد فيه العصمة من الخطأ، ويُهدر معه حكم العقل إذا حصل تعارضٌ بينهما، فإن دائرة العقل محدودة، وهى قاصرة عن إدراك خفايا المستقبل."(١١٣)

ويقول أيضاً في ثنايا تفسيره : "وإذا قيل: إن التدين مُقيِّد للحرية، ومانع من التمتع باللَّذات، فكيف تكون فيه السلوى والعزاء؟ فالجواب: أن الإسلام أباح الطيبات وحرَّم الخبائث، ولم يحظر من اللَّذات إلا ما يضر الإنسان، وليست السعادة فى حرية البهائم، بل فى حرية يسبح بها فيما فيه خيره وسعادته، ويحظر عليه فيها ما فيه ضرره وشقاؤه، وقوام آداب الأُمم وفضائلها التى قامت عليها صروح المدنية الحقة مستند إلى الدين، وبعض العلماء يحاول تحويلها عن أساس الدين، وبناءها على أساس العقل والعلم، غير أنه لا شبهة فى أن الأُمم التى تروم هذا التحول تقع فى اضطراب وفوضى لا تعلم عاقبتهما، وليس من الميسور أن تُبنى للعامة قواعد الفضيلة على أساس علم الأخلاق، أو أية قاعدة علمية أخرى، ولكن من الميسور دائماً أن تُبنى قواعد الفضيلة على أساس العصمة للدين، فالذى يحاول العلماء: وهمٌ وخيالٌ".(١١٤)

وعندما تعرَّض لقوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهدى والفرقان}(١١٥) نجده بعد أن يشرح الآية، ويذكر ما فى القرآن من هداية يقول: " ووضَّح للناس أصول العدل، وقواعد الأخلاق، وبيَّن حق الفرد والجماعة، ووضع نظام الأسرة، ووضع الإنسان الموضع اللائق به،فأباح له ما في الأرض جميعاً، ولم يمنع عنه إلا الخبائث، وحدد له الحدود اللائقة به، فلم يتركه يعامل معاملة السائمة، ولم يلزمه منزلة الملائكة، وحبَّب إليه المعرفة، وكان وسطاً عدلاً شهيداً على الشرائع وعلى الأمم. هذا هو القرآن الذي سعد به المسلمون بحياة روحية هي المثال الأعلى للنفس الإنسانية، وبحياة جثمانية طاهرة بريئة، وبحياة علمية لا يزال ما بقي من نورها يستمتع به الناس." (١١٦)

لقد أبان هذا الكلام أن هداية القرآن الكريم:

- ليست نتفاً متفرقةً لا يجمعها جامع، ولا يربطها رابط، إنما هي كل متكامل، ونظام صيغ على التمام.
- ليست خاضعةً للطبيعة الإنسانية، إنما هي مراعية لها.

---

(١١٣) المرجع السابق صـ٣٩
(١١٤) المرجع السابق صـ٤٠
(١١٥) سورة البقرة آية رقم ١٨٥
(١١٦) تفسير المراغي صـ٧٦

- ليست منفصلةً عن حياة الأمة، بل يُعَدُّ تمثلها الحقيقي معيار سعادتها، وتأثيرها في الأمم.
- إن عدم تفهم تلك الهداية ليس مجرد فساد في قضية علمية، وإنما هو ضياع للمنحى الإنساني بأكمله.

إن تمثل هذه المعاني هو الإحياء الذي ذكر القرآن أنه ثمرة الاستجابة لهداية السماء

يقول المراغي : "وما به الحياة هو العلم بالله، والعلم بسننه في الخلق، وبأحكامه الشرعية، والتزين بالحكمة والفضيلة والأعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الإنسانية، وتسعد بها في الآخرة، فهو يشمل جميع ما في القرآن من حكم وأحكام وعقائد وأخلاق وآداب، ويشمل ما فيه من نظام الحرب والسلم وقواعد الاجتماع، ويعم كل ما جاء به محمد . صلى الله عليه وسلم . من الهدى القولي والعملي ."[١١٧]

وبعد أن بيَّن المراغي العلاقة الإجمالية بين القرآن الكريم والهداية الإنسانية أراد الانطلاق من هذا الإجمال إلى التفصيل، فتتبع الكثير من مفردات المنحى الإنساني في القرآن الكريم، وكشف عن مراميها وأسرارها، ومنها ما يأتي :

الحديث عن الطبيعة البشرية

لقد سجَّل القرآن الكريم مختلف المشاعر الإنسانية من فرح وحزن، ورضا وسخط، وغضب وحلم، وإقبال وإدبار، سجَّل كل هذا بتجلياته المختلفة ومعطياته المتنوعة، وكان الكشف عن ذلك إحدى أهم تجليات المنحى الإنساني في نظرة المراغي للنص القرآني.

لقد نظر المراغي إلى النص القرآني على أنه المورد الأعظم للكشف عن طبيعة الإنسان، تلك الطبيعة التي مثَّل الخلل في فهمها حركات الانحراف الديني والفكري عبر التاريخ الإنساني؛ حيث قامت العديد من الفلسفات على غير بصيرة بهذه الطبيعة الإنسانية، فأرهقت هذا الإنسان، وأوجدت صراعاً بين مكوناته، أما القرآن الكريم، فقد جاء يخاطب هذا الإنسان بما تنطوي عليه خلقته، وما تقتضيه طبيعته.

يقول الإمام المراغي: "والذي تنطوي عليه الطبيعة الإنسانية هو كفران النعمة، وعدم القيام بشكرها يدل عليه (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ)[١٥][١١٨]، لكنه قد يخرج بالتعليم والتهذيب وتقويم الدين إلى حالة أخرى، وذلك هو المقصود بقوله تعالى: (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ)[١١٩]."[١٢٠]

لقد بيَّن المراغي أن من منهج القرآن في حديثه عن الإنسان إخباره عن طبيعة خلقته وما يهوى وما لا يهوى، لكن هذه الطبيعة ليست حائلة دون ترقيته وتهذيبه، فقبوله لعملية التهذيب أيضاً من طبيعته التي خُلق عليها كما حدث مع أتباع الرسل والأنبياء، ويأتي النص القرآني ليكشف عن

---

(١٤١) المرجع السابق صـ ٨٧
(١١٨) سورة الشورى آية رقم ١٥
(١١٩) سورة الحجرات آية رقم ٧
(١٢٠) تفسير المراغي صـ١١٠

هذه الطبيعة كذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [١٢١] [١٢١]، ويأتي السؤآل الذي تنسبك الإجابة عليه في المنحى الإنساني وهو:

- هل كل ظن يُؤآخذ به الإنسان؟
- هل لطبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها مدخلٌ في الإجابة عن هذا السؤآل ؟

يقول الشيخ المراغي: "ومن الظن ما هو قهري غير مستطاع الدفع، فلا يتعلق به النهي لعدم القدرة عليه، بل يتعلق بعدم العمل بموجبه، وقد يظن شخص أن أحداً يريد به سوءاً، فهذا الظان لا يضره أن يحترس، لكن يضره أن يوقع أذىً بالمظنون منه السوء."[١٢٢]

لقد بيَّن المراغي وهو يتأمل النص القرآني أن الحجة التي أقامها الله على عباده لم تنفصل قط عن طبيعة هذا الإنسان أي إن الله تعالى نصب الأدلة والبراهين التي تقطع العذر من جنس ما يفهم الإنسان

يقول المراغي : "لم يجعل الله حجته على خلقه أموراً لا يدركها إلا نفر من البشر أو من أوتي فهماً خارقاً، إنما جعلها الله قرينة لإنسانية هذا الإنسان." [١٢٣]

ويقول أيضاً: " والحجة البالغة هي أن لله تعالى سننا في الكون والخلق، وقد كانت سنته في خلق الإنسان أن جعله عاقلاً مستدلاً مناظراً، وأعطاه وسائل الاستدلال والنظر، وهداه النجدين: طريق الخير وطريق الشر، وبعث إليه الرسل يرشدونه، ويبينون له الحلال والحرام، فقطع عذره، ولم يبق له تعلة إذا أشرك أو عصى." [١٢٤]

ولقد كانت الطبيعة البشرية حاضرةً كذلك في تفنيد الشيخ المراغي للمذاهب الفاسدة؛ حيث بيَّن أن فساد هذه المذاهب لا يقتصر على مجرد تخليط علمي أو تلبيس دلالي، وإنما من براهين فسادها مناقضتها للخلقة الإنسانية ومقوماتها من فطرة وعقل، فعند تفسير قوله تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [١٢٥] قال: " ولا شبهة بعد هذا في أن القول بالجبر يصادم العقل، ويناقض ما أجمعت عليه الأمم، ويهدم حكمة إرسال الرسل وحكمة الشرائع سواء أكانت وضعيةً أم سماوية، والقائلون به يجب عليهم أن يتركوا أنفسهم في الحياة تسيرها الرياح كما تشاء، وليس لهم أن يتعلقوا بقواعد التهذيب، وليس لهم أن يلوموا فاسقاً ولا كافراً، ولا مرتكب أية كبيرة أو أية معصية، وهذا قولٌ نعوذ بالله منه ومن شروره، واتفاق الأمم جميعها في القديم والحديث على خلافه دليلٌ على أنه مناقضٌ للفطرة كما هو مناقض للعقل."[١٢٦]

---

(١٢١) سورة الحجرات آية رقم ١٢
(١٢٢) تفسير المراغي صـ١٢٠
(١٢٣) المرجع السابق صـ٥٥
(١٢٤) المرجع السابق صـ٥٦
(١٢٥) سورة الحديد أية رقم ٢٢
(١٢٦) المرجع السابق صـ١٧١

الحديث عن الجماعة الإنسانية

لقد كان من بين المفردات التي رأيناها في تعامل الشيخ المراغي مع النص القرآني حديثه عن الجماعة الإنسانية؛ حيث قال: "وطلب منه أن يكون خيّراً نافعاً للخلق، وعضواً مفيداً في الجماعة الإنسانية، وذلك بأن يأمر الناس بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار الجماعة الفاضلة، وإذا فُقد من أمة فُقدت منها صفات الخير وضرت على الشر."(١٢٧)

وقال معلقاً على صفات المحسنين: "فما هو السر في الاقتصار هنا على هذه الصفات القليلة في بيان المحسنين الذين هم أخص من المؤمنين ومن المتقين؟

الجواب أن الله سبحانه لم يرد هنا بيان جميع صفات المحسنين، بل ذكر صفةً لكل أصل من أصول الخير، وأصول الخير ثلاثةٌ: صحة العقيدة، والإحسان إلى الجماعة البشرية، وتهذيب النفس وتطهيرها، وأكمل أمثلة تهذيب النفس الصلاة، وأكمل أمثلة الإحسان إلى الجماعة بذل المال، وفي الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء إيمان بالله سبحانه وبالكتب المنزلة وبالرسل، فهو مثال كامل لصحة العقيدة."(١٢٨)

وحين تدبر قضية الوفاء بالعهد التي كانت من أبرز ملامح النظام الأخلاقي القرآني تحدث عن مغزاها الإنساني والاجتماعي، فقال:" طلب الله الوفاء بالعهد وهو أنواع: منها العهد بين العبد وربه بالتزام أحكامه من أوامر ونواه، وذلك يكون بقبول الدين كله، والاعتراف به، والعمل على مقتضاه، فالوفاء بعهد الله هو الطاعة لله ولرسوله، ومنها العهود التي بين الأفراد والجماعات سواء أكانت بالقول أم بالكتابة، ومنها العهود التي بين دولة ودولة أخرى، وهنا عهود ضمنية يحددها العرف والعادة بين الناس، وتقتضيها حياة الجماعة."(١٢٩)

أنموذج متكامل لأثر المنحى الإنساني

وإذا أخذنا وصية لقمان التي سجلها القرآن الكريم كأنموذج متكامل لأثر المنحى الإنساني في تعامل المراغي مع النص القرآني، فإننا سنرى جوانب كثيرة قد أفصح عنها المراغي، حيث كان هذا المنحى الإنساني بادياً أولاً في شرح كلمة الحكمة التي جعلها القرآن العنوان العام لكل هذه التوجيهات والمنبع الذي خرجت منه، "فالحكمة العلمية لا شك تستدعي فهماً وفطانةً وفقهاً ومعرفةً بارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً، ومعرفة لبواطن الأمور وأسرارها، والحكمة العلمية على هذه الصفة تبعد صاحبها عن مواطن الزلل، وتسوقه إلى مواطن الخير، فيكون نافاعاً لنفسه، ونافعاً لخلق الله، وتجعله حقيقاً بالخلافة عن الله في الأرض يعمرها، ويصلحها، ويستثمرها، ويستخرج ما فيها من الأسرار التي أودعها الله سبحانه إياها."(١٣٠)

---

(١٢٧) المرجع السابق صـ٢٠٩

(١٢٨) المرجع السابق صـ١٩٠

(١٢٩) المرجع السابق صـ٦١

(١٣٠) المرجع السابق صـ٢٠٣

لقد رأينا كيف ربط المراغي بين هذه الكلمة الجامعة (الحكمة) وبين حالة الإنسان ورسالته في هذه الحياة؛ إذ ليست الحكمة مجرد ملكة من ملكات العقل والفهم تمثل إطاراً منعزلاً عن مسارات الحياة، إنما هي بابٌ من أبواب التفاعل المؤثر في مسالكها ودروبها، والذي عبَّر عنه المراغي بكلمة النفع.

ويضعنا المراغي أكثر في بيان العلاقة بين هذه الكلمة الجامعة بمفرداتها المذكورة وبين الحياة الإنسانية والاجتماعية، فيقول في تفسير قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**(١٣١)

" معطوفٌ على معنى الآية السابقة، وتقديره: آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكراً لنفسه، وحين جعلناه واعظاً لغيره؛ وذلك لأن علو مرتبة الإنسان في الحكمة أن يكون كاملاً في نفسه، ومكملاً لغيره، وإنما كان الشرك ظلماً عظيماً؛ لأن فيه تسوية بين المخلوق الذي لا نفع فيه وبين الخالق الذي منه كل جود وخير، وفيه تحقير للنفس الإنسانية الشريفة بأن تذل لمخلوق مثلها لا يستطيع لها نفعاً ولا ضراً."(١٣٢)

إننا إذا تأملنا ما مضى من كلام المراغي يمكننا أن نرى ثلاثاً من القضايا المتعلقة بالخلقة الإنسانية، وطبيعة مسيرتها في هذه الحياة،وهي :

القضية الأولى: ثنائية المسؤولية الإنسانية وتعني أن هناك حالين للإنسان جاءت رسالة السماء لتعمل على إتمامهما، وهما أن يكون الإنسان كاملاً في نفسه، وأن يكون مكملاً لغيره.

القضية الثانية: قضية الحدود التي تحد الخلقة الإنسانية تلك الحدود التي تستلزم أن هناك فرقاً بين هذا الإنسان وخالقه، وتبين أن إنكار هذا الفارق والخروج عن مقتضايته هو في الحقيقة خروجٌ عن الحكمة التي هي مطلب للإنسان الكامل.

القضية الثالثة: بيان المراغي الأثر النفسي لقضية الشرك حيث بين أن الشرك ليس مجرد قضيةً عقدية مبتوتة الصلة بالنفس الإنسانية، بل هي متصلة بها اتصالاً وثيقاً؛ إذ من مقتضيات الشرك أن يذل الإنسان لمخلوق مثله بدل أن يذل للخالق.

إننا إذا نظرنا إلى أي خلل في خروج بعض الأديان عن مسارها الطبيعي في علاقتها بالإنسان لرأينا الخلل واقعاً في قضية من هذه القضايا الثلاث.

لقد نظر المراغي إذاً إلى مفردات الحكمة التي أوتيها لقمان على أنها تمثل إطاراً إنسانياً ينبغي أن ترقبه البشرية جمعاء لتجعله محوراً جوهرياً في تغيير واقعها الإنساني؛ لذا يقول: "ولو كانت الحكمة التي أوتيها لقمان، والتي قصها الله في القرآن هي التي لها السيادة لكان حال العالم اليوم أرقى وأرفع وأشرف وأكمل وأهنأ وأسعد مما هو عليه الآن."(١٣٣)

---

(١٣١) سورة لقمان آية رقم ١٣

(١٣٢) تفسير المراغي صـ٢٠٦

(١٣٣) المرجع السابق صـ٢١٢

لقد ظهر بهذا أن رؤية المراغي للنص القرآني لم تكن مجرد استنباط لبعض الفوائد التي تتعلق بالإنسان ، بل كانت دراسةً لكل جوانب الحياة الإنسانية، حتى رأيناه يختار لدروسه التفسيرية ما يراه أوسع النصوص القرآنية اتصالاً مباشرا بقضية الحياة الإنسانية وتشعباتها

" يُلحظ أن الشيخ – رحمه الله تعالى – كان يختار لدروسه من آيات القرآن ما تتجلى فيه دلائل قدرة الله وآيات عظمته، وما تظهر فيه وسائل هداية البَشر، ومواضع العظة والعبرة، كما يُلحظ أيضاً أنه وجَّه جانباً كبيراً من عنايته إلى الآيات التى يجمعها وقضايا العلم الحديث صلة القُربى، ليظهر للناس أن القرآن لا يقف فى سبيل العلم، ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته، وذلك بما يهديه الله إليه من الدقة فى التوفيق بين قضايا القرآن، وقضايا العلم الحديث.. دقة لا يبلغ شأوها، ولا يدرك خطرها إلا مَن شغل نفسه، وكدَّ فهمه فى هذا السبيل."(١٣٤)

إن هذا يعني أن الإمام المراغي كان مسلطا الضوء على الآيات التي يظهر فيها المنحى الإنساني بصورة مباشرة سواء أكانت تتعلق بالجانب الروحي كآيات المواعظ والعبر أم كانت تتعلق بالجانب العقلي كالآيات الكونية.

إننا إذا عرَّفنا التجديد في التفسير بأنه: "استلهام آيات القرآن الكريم، والتوجيه والهداية في كل ما يعترض حياتنا، وما يمس العقيدة والأخلاق، أو يدخل في بناء مجتمعاتنا وسياساتنا واقتصادنا بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاء لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات."(١٣٥)

إذا كان هذا هو مفهوم التجديد في التفسير فإن المراغي يستحق بتلك النظرات المنطلقة من المنحى الإنساني أن يوضع ضمن المجددين.

---

(١٣٤) اتجاهات التفسير جـ٢، صـ٧٧٨

(١٣٥) اتجاهات التجديد في العصر الحديث .د : إبراهيم الشريف صـ٨٩

المطلب الثاني

المنحى الإنساني والتجديد التشريعي

يمكن القول بأن الجانب العقدي هو الذي تلقى نتيجة الصدمة التي أحدثها المنهج الإسلامي في بنية التصورات الكلية للأديان والمذهبيات التي كانت قائمة، فتوجه الجهد العلمي في هذا الجانب صوب الرد والجدال، بينما كانت الحركة التفاعلية مع الواقع الإنساني من نصيب الجانب التشريعي، ولقد ترتب على هذا اختلاف نمط التجديد في كلٍّ من المجالين، فبينما سارت معظم أطر التجديد في الجانب العقدي في مسارات الرد على تيار التشويه لهذا الجانب . حتى أُسس علم بأكمله يضطلع بتلك المهمة وهو علم الكلام . تركزت المناحي التجديدية للجانب التشريعي في البحث عن كُنه العلاقة بين التشريع والإنسان، وتمحورت القواعد الأصولية والفقهية في تحديد أطر هذه العلاقة، وارتبط مصير الاجتهادات الفقهية نجاحاً أو إخفاقا بذلك، ولم تغب تلك الحركة إلا حين تم الخلط بين الجانبين بين الأصول العقدية والفروع التشريعية، فراحت بعض المقلدة تضفي على اجتهادات بعض المذاهب صفة التصورات الكلية التي يُعَدُّ الخروج عنها تهديداً لنقاء هذا الدين وجوهريته.

وإذا أردنا أن نصف المرحلة الزمنية التي أتى فيها المراغي من حيث مناخها التشريعي، فيمكن القول بأنه قد أتى في جو علمي يسوده الجمود، وبيئة تشريعية يغلب عليها التعصب، ومرحلة فقدت كل ميزات المراحل التشريعية السابقة حتى رأينا الشيخ الخضري يقول عن هذه الفترة:

"لم يكن من الواضح أن أكتب شيئاً في هذا الدور؛ لأن رياح الاجتهاد فيه قد ركدت، وليس فيه من المزايا ما يملي على الكاتب، وينطق القائل.

إذا اتسع مجال القول في الدور الأول حيث يوحي الله شرائعه على قلب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وهو يبلغ ما أنزل الله، ويبينه للناس، وفي الدورين الثاني والثالث حيث بيَّن الصحابة والتابعون طرق الاستنباط من كتاب الله، وسنة رسوله، والرأي الصحيح، وفي الدور الرابع حيث يقوم كبار الأئمة ونوابغ الفقهاء، فيجنون تلك الثمرة، ويدونون أحكام الشريعة مفصلة، وفي الدور الخامس حيث كان الترتيب والتهذيب والاختيار والترجيح . فما عسى أن يقول القائل في هذا الدور الأخير، ولا شيء له من الامتياز؟"(١٣٦)

مع قتامة هذه الصورة لم يستسلم رواد الفكر الإسلامي، بل وضعوا التجديد التشريعي نصب أعينهم، وجعلوه إحدى أهم مجالات مشاريعهم الإصلاحية، ولقد كان المراغي واحداً من هؤلاء؛ حيث انطلق من تشبعه بالمنحى الإنساني في رؤيته التجديدية، والتي يمكن سبك مظاهرها في إطارين رئيسين:

الإطار الأول: الربط بين التشريع الإسلامي والملكة الإنسانية الكبرى والفارقة وهي العقل

الإطار الثاني: الربط بين المنحى الإنساني وغائية التشريع

---

(١٣٦) تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري صـ ٣٢٥

الإطار الأول: الربط بين التشريع الإسلامي والعقل الإنساني

لقد كان المراغي يرى أن الغاية الكبرى من المعارك الفقهية التي خاضها ليست في إقرار رأي فقهي بعينه، أو إصدار قانون ملزم في العمل به، إنما الغاية الكبرى، والمنفعة العظمى إرجاع الفعالية للعقل الإسلامي، تلك الفعالية التي تجمدت تحت وطأة التقليد المفرط بعد أن شكلت النقطة المحورية في فترات الازدهار العلمي والحضاري؛ لذا يقول:

" أثار مشروع قانون الزواج والطلاق حركةً فكريةً اجتماعيةً دينيةً، فنشط العلماء للبحث والاستنباط والرجوع إلى كتب الشريعة المطهرة وتطبيقها على القانون، ونشط غيرهم إلى بحثه من الوجهة الاجتماعية، وما لنا لا نغتبط بهذا وقد تستمر هذه الحركة، ويتجدد نشاط الفقه الإسلامي بعد ركوده في المتون والشروح، وتتجه إليه الأنظار، وتتولد فكرة تهذيبه باختيار ما صح دليله، وما قام البرهان على أن فيه مصلحةً للناس من أقوال أئمة الهدى وفقهاء الإسلام."[١٣٧]

ويقول أيضا عن هذه الحركة الفكرية: "وهذا النشاط نفسه خير وبركة، فالجمود آيةٌ من آيات الموت، والحركة دليلٌ من دلائل الحياة."[١٣٨]

لقد غيَّر المراغي من نمط البحث في مسألة الاجتهاد من إطارها العلمي البحت الذي يُسرد فيه الدليل والدليل المخالف إلى كونها قضية كاشفة عن التفاعلية بين المنهج الإسلامي والطبيعة البشرية التي تمتلك أسساً ثابتة مهما تغير الإطار الزمني.

"إن الزمن لم يغير خلقة الإنسان، والعقول لم تضمر، والطبيعة باقية في الإنسان كما كانت في العصور الماضية، وها هم علماء الأمة يحدوهم الأمل إلى بلوغ أقصى ما يتصوره العقل البشري، ويصلون إليه بجدهم واجتهادهم، وقد كان أسلافهم في عماية وجهل،وكان أسلافنا في نور العلم وضياء المدنية، لم يقل أحد منهم بقصور العزائم، ولا بتراخي الهمم عن البحث والتنقيب، بل كلما مرَّ عليهم الزمان جدَّوا في البحث والتنقيب."[١٣٩]

ومع إرجاع المراغي وجوب الاجتهاد إلى طبيعة الخلقة البشرية قد بين أن هذا الوجوب أصلٌ أصيلٌ للمنهج الإسلامي "والأصل في الدين أنه لا حجة على مسلم إلا في دليل من الأدلة الشرعية، وكل قادر على تناول الحكم منها بجب عليه أن يدع تقليد الرجال أياً كانوا، وإذا تعذر على مسلم أن ينال الأحكام من أدلتها وجب عليه أن يقلد، ويسأل أهل الذكر."[١٤٠]

وبعد أن نقل أقوال الأئمة في النهي عن تقليدهم بلا حجة، وبعد أن سرد العديد منها علق قائلاً: "والغرض من نقل هذا أن نثبت أن تقليد إمام من غير معرفة دليليه لمن يستطيع النظر في الأدلة وفهمها وترجيح دليل على دليل أمرٌ يأباه الدين، وتأباه أقوال الأئمة، ولم يكن معروفاً في الصدر الأول، ولم يكن يرضاه أحدٌ لنفسه."[١٤١]

---

(١٣٧) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب، أبو الوفا المراغي صـ١٤٦،

(١٣٨) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، مجلة المسلم المعاصر السنة التاسعة عشرة العدد (٧٣-٧٤) صـ١٥٧

(١٣٩) الاجتهاد، محمد مصطفى المراغي، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، صـ٧١

(١٤٠) المرجع السابق صـ ٩٩

(١٤١) المرجع السابق صـ٨٩

وبيَّن المراغي أن هذا الاجتهاد مثَّل إحدى سمات الفعالية التشريعية لعصور الازدهار الحضاري، فقال:" كان السلف من العلماء يختلفون في الأصول والفروع، وكانت صدورهم مملوءةً بالرهبة من الله، وأنفسهم مصقولة بالأدب الديني تجملها مكارم الأخلاق، وتخالطها روح الإسلام الطاهر، وما كان أحد منهم يرمي مخالفه بالكفر والإلحاد إلا حيث يخرج عن الدين جملة، وتصل به المخالفة إلى تكذيب الله ورسله، أما المخالفة في حكم فقهي لم يقم عليه دليل قطعي الثيوت والدلالة فلم يكن معروفاً بينهم رمي المخالف بالكفر والإثم."(١٤٢)

وما كان المراغي ليدعو إلى ذلك ويهمله هو، بل كان أول المطبيقين له "وإذا لاحظنا أنه أقدم وهو حنفي على التخلص من التبعية المطلقة لمذهب أبي حنيفة، هذه التبعية التي جاءتنا من تبعيتنا للدولة العثمانية فهمنا أنه خطا خطوةً كبيرةً نحو الإصلاح."(١٤٣)

وأعطى المراغي أمثلةً للاجتهاد، فقال: "فللمفتي الآن أن يخصص نصاً بالعرف العام، وأن يترك المنصوص عليه في ظاهر الرواية للعرف الخاص أو للضرورة ورفع الحرج، وأن يرجح رأياً على رأي لسبب من هذه الأسباب، وإذا لم يفعل ذلك كان ضرره أعظم من نفعه، وأضاع حقوقاً كثيرةً. هذا هو الفقه الذي لا يمكن لشخص يُقَدِّرُ عقله أن يحيد عنه."(١٤٤)

الإطار الثاني: إظهار إنسانية التشريع الإسلامي

لقد كانت إنسانية التشريع الإسلامي إحدى أهم القسمات الغالبة على رؤية المراغي التجديدية، فلقد أسهب المراغي في شرح هذه الإنسانية، وبيان مرتكزاتها، وسردِ الكثير من صورها ومظاهرها،وفيما يلي عرض لذلك:

أولاً: المنحى الإنساني ميزانٌ من موازين الاجتهاد التشريعي

حين تحدث المراغي عن الموازين التي نحاكم عليها الاجتهادات التشريعية لم تكن هذه الموازين منبتة الصلة عن الواقع الإنساني؛ لذا قال عن آيتي **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**(١٤٥) و**{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** (١٤٦)

"هذان النصان يجب أن تبقى سيطرتهما تامةً على جميع التشريع الإسلامي، فإذا ما وجدنا أن العمل بالنصوص الخاصة يوقع في الحرج لحدوث ضرورة ما، أو لحدوث عرف عام يوجب تركه الحرج وجب أن توقف النصوص الخاصة عن عملها في تلك المواطن، وأن يُعمل بالنص العام القاطع الموجب لنفي الحرج، من ذلك تعلم أن العرف ليس دليلاً، وأنه لم يُعمل به لاعتباره دليلاً، وإنما يُعمل به امتثالاً للديل العام القاطع الموجب لنفي الحرج."(١٤٧)

---

(١٤٢) المرجع السابق صـ٥٦

(١٤٣) الاجتهاد د: عبد المنعم النمر صـ ٢٥٣

(١٤٤) الاجتهاد .محمد مصطفى المراغي دراسة وتحقيق د : محمد عمارة صـ ١١٤

(١٤٥) سورة البقرة آية رقم ١٨٥

(١٤٦) سورة الحج آية رقم ٧٨

(١٤٧) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، مجلة المسلم المعاصر السنة التاسعة عشرة العدد (٧٥-٧٦) صـ١٧٨

ويشرح الأمر بعبارة أوسع من هذا قائلاً: "هناك أمور ينبغي أن يترفق فيها الفقهاء بالناس، وأن يراعوا قواعد اليسر التي هي من أخص صفات الإسلام، يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشابههم، فيقربون الناس من الإسلام، ولا يوقعونهم في الحرج، وعندي أن من يفطر بعذر ويصرح بذلك أظهر ممن يفطر بغير عذر أو بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى يرائي الناس ولا يخشى الله ،والترخص في المرض أو الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها، ويفتون أنفسهم فيها، والرقيب هو الله، أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ولا شأن للعالم فيه."(١٤٨)

لقد بيَّن المراغي في هذا النص أموراً عدةً، وهي:

١. أن التيسير ومراعاة الواقع الإنساني ليس مِنَّة من الفقيه، بل هو سمةٌ من السمات الذاتية للمنهج التشريعي الإسلامي.
٢. لا تتوقف أثار التنكر الفقهي للواقع الإنساني على مجرد إلحاق بعض من العنت بالمكلف، بل قد تكون مدخلاً من مداخل الوقوع في شرك الخداع الظاهري.
٣. لا تمثل الاجتهادات الفقهية قوالب جامدة يتلقاها المكلف دون قياسها على تشكلات واقعه الخاص، بل لهذا الواقع مدخلٌ في فهم هذا الاجتهادات.

ولم يكن المراغي في رؤيته التجديدية للجانب التشريعي منعزلاً عن رواد التجديد السابقين عليه، بل استمد منهم أصول رؤيته، ومثلت تطبيقاتهم الاجتهادية في الأحكام الجزئية إلهاماً لهذه الرؤية، فنرى الشاطبي في المنحى الأصولي يربط بين الحركة الفقهية والواقع الإنساني، فيقول: "كل مسألة لا ينبني عليها عمل؛ فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليلٌ شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوبٌ شرعاً." (١٤٩)

ونفس هذا الربط نجده عند الإمام ابن القيم الذي أفراد فصلاً كاملاً من كتابه (إعلام الموقعين) تحت عنوان: (الشريعة مبنية على مصالح العباد) "(١٥٠)

على هذا النسق سار الإمام المراغي في فهم الواقع الإنساني ورصد متغيراته، وبين أن ذلك كان إحدى أبرز ميزات السلف من العلماء والفقهاء الذين استطاعوا أن يوجدوا حلقة الاتصال بين التشريع والحياة؛ حيث إنهم "قد فهموا الحياة كما يفهمها العقلاء في هذه الأيام، فسعوا إلى علم ما لم يعلموا، وبالغوا في الطلب، ولم ينصبوا حرب العداوة بين العلم والدين، وفهموا سر الحياة، وروح الاجتماع، وأمزجة الأمم، وراعوا تقلبات العصور، فاختلفت مذاهبهم تبعاً لهذا كله، وأعطوا لكل وقت حكماً."(١٥١)

---

(١٤٨) مجلةالأهرام (١٩٤٨/٨/٢٠)

(١٤٩) الموافقات، الشاطبي تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جـ١، صـ٤٥

(١٥٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. جـ٣صـ١١.دار الكتب العلمية – بيروت ط١ (١٤١١هـ – ١٩٩١م)

(١٥١) الاجتهاد .محمد مصطفى المراغي صـ٥٦

وأعطى المراغي أمثلةً عديدةً لهذا الفهم، فقال: "وما إباحة رعي حشيش الحرم دفعاً للحرج مع النهي عنه صراحة، وإباحة تبادل النقود عداً وإن اختلف وزنها، وإباحة الاستصناع مع النهي عن بيع ما ليس بموجود إلا نوع من هذا، ولعل تتبع فروع المصالح المرسلة والاستحسان وفروع العرف العام والخاص يكشف إلى حد بعيد عن مرامي الفقهاء."(١٥٢)

ثانياً: المنحى الإنساني وأسرار التشريع الإسلامي

يقول الشيخ الذهبي: "كذلك نجد الأستاذ الأكبر يهتم فى تفسيره اهتماماً كبيراً بإظهار سر التشريع الإسلامى، وحكمة التكليف الإلهى، ليُظهر محاسن الإسلام، ويكشف عن هدايته للناس، فمثلاً عندما تعرَّض لآيات الصوم فى سورة البقرة، نجده يفيض فى سر الصوم وحكمته، فيقول: "الصيام أحد الأركان الخمسة التى بُنِى عليها الإسلام، وهو رياضة بدنية، وتهذيب خُلُقى، وتطهير روحى، وذلك أن الاسترسال فى الشهوات، والانغماس فى اللَّذات حجابٌ بين الروح وبين الكمالات القدسية والفيض الإلهى، يعوقها عن تلقى الإلهام وعن لذَّة الاتصال، ولذلك يلجأ أرباب المقامات والعارفون إلى الصوم، كلما أحسوا بُعْداً عن الذات الإلهية، وانزعج خاطرهم شوقاً إلى القرب منها.

وفى الصبر على الحرمان من اللَّذات التى تنازع إليها النفس، وتقتضيها الطبيعة، تربيةٌ للإرادة، وتقويةٌ على المضى فى العزم، وعدم نقض العقد والعهد إذا وسوس الشيطان، وزيَّن للنفس الخروج عن العهود، لما فيها من المشقات، وفى تقوية الإرادة على هذا النحو إعدادٌ لتلقى التكاليف الإلهية بالقبول والطمأنينة، وتثبيتٌ لمَلَكة المراقبة والخوف من الله، وتقويةٌ لخُلُق الحياة." (١٥٣)

ثالثا: مراعاة الشريعة للعرف وتمثل المنحى الإنساني

ولقد كان من مفردات العلاقة بين كل من المنحى الإنساني والمجال التشريعي التي بينها المراغي حديثه المسهب عن قضية العرف ومدخلها في التشريع، والعرف مظهر من مظاهر الحركة الإنسانية؛ إذ هو: "ما تعارفه الناس، وساروا عليه، من قول، أو فعل، أو ترك.""(١٥٤) ، وقد أظهر المراغي كيف أن اعتبار الشريعة للعرف كان ولا يزال دليلاً من دلائل فعاليتها، وقدرتها على احتواء الواقع الإنساني رغم تعدد محدداته، فقال :

"ولا يغيب عن الأذهان أن الأحكام المستفادة من النصوص قليلةٌ جداً بالنسبة للأحكام الاجتهادية، فالأحكام الاجتهادية قابلة للتغير بالعرف العام والخاص، والأحكام المستفادة من النصوص قابلةٌ للتخصيص بالعرف العام باتفاق وبالعرف الخاص على رأي بعض الحنفية، فهل توجد مرونة في القوانين تسع الناس أكثر مما في هذه الأحكام؟ وهل يصح مع هذا أن يقول أحدٌ

---

(١٥٢) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، مجلة المسلم المعاصر السنة التاسعة عشرة العدد (٧٤.٧٣) صـ١٥٩

(١٥٣) التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، جـ٢، صـ٤٣٨

(١٥٤) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، صـ٨٩، دار القلم، طـ٨

إن قواعد الفقه جامدة لاتسع الناس في كل عصر ومكان؟ الحق أن هذا ظلمٌ لهذه القواعد، ولكنه ظلم جرَّه تزمت الفقهاء المحدثين الذين لم يفهموا رح الدين، ولا روح الفقهاء المتقدمين."[١٥٥]

وكشف المراغي عن أن خروج المتأخرين من الفقهاء عن المنصوص عليه في الدوواين الخاصة بمذاهبهم في بعض المسائل إنما كان لمراعاتهم للعرف المتغير بتغير وعائه الزمني، فقال: "فإن قلتَ العرف يتغير ويختلف باختلاف الأزمان، فلو طرأ عرفٌ جديد هل للمفتي في زمانا أن يفتى على وفقه ويخالف المنصوص في كتب المذهب؟ وكذا هل للحاكم الآن العمل بالقرائن؟ قلتُ مبنى هذه الرسالة على هذه المسألة، فاعلم أن المتأخرين الذين خالفوا النصوص في كتب المذهب في المسائل السابقة لم يخالفوه إلا لتغير الزمن، وعلمهم أن صاحب المذهب لو كان في زمنهم لقال بما قالوه مما يستخرج به الحق من ظالم، أو يدفع دعوى متعنت."[١٥٦]

وبعد أن نقل المراغي نصوصاً ومسائل في اعتبار العرف دعا إلى جعل ذلك إحدى حلقات البحث الفقهي المعاصر، وليس مجرد نظرة جزئية لنصّ ما من النصوص ، أو حكم خاص من الأحكام، فقال: "وينبغي أن يُطال النظر إلى هذه النصوص، فهي تنطق بالروح العالي الذي كان يملأ صدور الفقهاء، وتدل على مقدار احترامهم لعرف الناس وعاداتهم، وعلى مقدار فهمهم للقواعد الفقهية، وأنها ما وُضعت إلا لمصلحة العباد، وضبط التعامل بينهم، وأنه يجب أن تخضع لعرفهم، وأن تخضع للضرورات ورفع الحرج، فلا يجوز أن تجمد الفقهيات الاجتهادية أمام حوادث الزمن، وأمام ما يجد فيه من عادة ومصطلحات."[١٥٧]

ولقد ضرب المراغي أمثلةً حيةً لتغير الأحكام الاجتهادية بتغير الواقع الإنساني كما فعل في قضية اشتراط تأييد بعض الدعاوى بأوراق لسماعها وعدم الاكتفاء بمجرد الشهادة. [١٥٨]

رابعا: قضية الحجر وارتباطها بالمنحى الإنساني

ويتطرق المراغي إلى قضيةً فقهيةً أخرى يظهر فيها جليا العلاقة بين المنحى الإنساني والمجال التشريعي، وهي قضية الحجر بسبب السفه، تلك القضية التي تبحث في أخص مكونات الإنسان وهي العقل.

لقد بين المراغي بادئ ذي بدء أن قضية الولاية والحجر قضيةٌ تتعلق بسنة الاختلاف البشري، والتي لا بد وأن تحتويها الشريعة، فقال: "اقتضت حكمة الله . تعالى شأنه . أن لا يترك الناس فوضى يغتال قويهم ضعيفهم، وذو العقل منهم مسلوبه أو ضعيفه، فوضع لهم قواعد لحفظ النفس والمال كما وضع قوانين لحفظ الدين والنسب والعقل، وأطلق لذوي العقول الراشدين حرية التصرف في أموالهم وأنفسهم في الحدود التي بينها والأحكام التي سنَّها، كما قيَّد الضعفاء

---

(١٥٥) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، مجلة المسلم المعاصر السنة التاسعة عشرة العدد (٧٦.٧٥) صـ١٧٧

(١٥٦) المرجع السابق صـ١٧٥

(١٥٧) الاجتهاد.محمد مصطفى المراغي صـ١٠٩

(١٥٨) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، مجلة المسلم المعاصر السنة التاسعة عشرة العدد (٧٦.٧٥) صـ١٨٨

وفاقدي الإدراك والمفسدين في أموالهم بقواعد تختلف عن القواعد التي وضعها لذوي الأهلية وأرباب العقول، كل ذلك فضلاً منه ورحمةً."[١٥٩]

بل بين المراغي أن خوضه في تلك القضية، ووضعه كتاباً يجمع شتاتها، ويوضح مشكلاتها إنما هو صورةٌ من صور تأديته للواجب العلمي والإنساني، فبعد أن تحدث عن المجالس الحسبية وعملها بمذهب الإمام أبي حنيفة قال: "لذا وجدت من نفسي باعثا على وضع كتاب يجمع شتى تلك الأحكام، ويكون وحده مغنيا تلك المجالس في جميع الموضوعات التي هي من اختصاصها، فوضعت كتابي هذا لأودي بعض ما يفرضه الدين على أهله من الخدمة العامة للمسلمين، ولأقدم للأمة بعض ما تستحقه على أبنائها."[١٦٠]

وحين تحدث عن مفهوم (الرشد) الذي يشكل إحدى المفاهيم الجوهرية التي تبنى عليها قضية الحجر كانت الطبيعة البشرية حاضرةً بقوة في إيضاح هذا المفهوم؛ حيث قال: "ومعرفة الرشد تختلف طرقها باختلاف درجات الناس، وهي في الذكور الذين يخالطون الناس في الأسواق وغيرها تختلف عنها في الإناث اللواتي لا يخالطن الناس في الأسواق، والأمر في معرفة الرشد ليس من السهولة بالدرجة التي تُظَن، فكم من شخص كان مدة الحجر عليه ممن يؤنس منه الرشد، ثم ظهر بعد صرف الحجر أنه من أكبر السفهاء."[١٦١]

والمراغي لم يتطرق إلى تفاصيل قضية الحجر على الصغير أو البالغ الذي لم يرشد وسرد الاجتهادات الفقهية فيها والترجيح بين الأقوال دون أن يبين الحكمة من الحجر، وكيف أنه مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالمقاصد العامة للتشريع الإسلامي، فقال: "والعلة في ذلك ظاهرة، فإن من مقاصد الدين حفظ المال من اعتداء غير صاحبه عليه، أومن إتلاف صاحبه له بطريقة غير مشروعة، أما حفظ المال من اعتداء غير صاحبه عليه، فقد وضعت له القواعد الكافية الوافية في باب المعاملات، وأما حفظ المال من أن يتلفه صاحبه، فقد وضعت له قواعد الحجر والولاية، وهي التي سنذكرها في هذا الكتاب."[١٦٢]

لقد لخص الدكتور محمد عماره أثر المنحى الإنساني عند المراغي في تجديده التشريعي بقوله: " لقد كان شعار الشيخ المراغي في احتضان مجمل تراث المذاهب الفقهية الإسلامية والاختيار من بين اجتهاداتها، وفتح باب الاجتهاد في القضايا والمشكلات المستجدة، وفي التيسير في الفتوى .. كان شعاره كلمة أستاذه الإمام محمد عبده "العلم هو ما ينفعك وينفع الناس."[١٦٣]

المنحى الإنساني والإصلاح القضائي

امتدت أثار المنحى الإنساني في فكر المراغي إلى المجال القضائي إيماناً منه بأن إصلاح هذا المجال يمثل إحدى البراهين على واقعية الشريعة الإسلامية، وأهليتها لضبط الحركة البشرية على اختلاف أشكالها.

---

(١٥٩) مخطوطة الأولياء والمحجورين صـ ١

(١٦٠) المرجع السابق صـ ٤

(١٦١) المرجع السابق صـ ١٥

(١٦٢) مخطوطة الأولياء والمحجورين. صـ ١٥

(١٦٣) الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين د : محمد عماره صـ٢٠

ولقد ابتدأ المراغي هذا الأمر أثناء توليه القضاء بالسودان

" لما أرادت حكومة السودان تعديل لائحة المحاكم الشرعية بالسودان تمسك الشيخ الإمام بأن من سلطته أن يختار للقضاة الآراء الفقهية التي يحكمون بها...وللشيخ عذره في التمسك برأيه؛ فقد كان قضاة السودان في ذلك الحين على قدر يسير من المعرفة، فأخذ الإمام يرشدهم، ويعلمهم في رفق وأناة مطالباً كل محكمة أن ترسل إليه بياناً شهرياً بالقضايا، وما صدر فيها من أحكام، فكان يراجع هذه البيانات، وإذا رأى خطأً في الحكم ألغاه، وطلب إلى القاضي إعادة النظر في حكمه في لباقة مع إرشاده إلى المبادئ الشرية الهامة، فكان أستاذاً ومعلماً ومرشداً." [١٦٤]

وبعد أن عاد إلى مصر، وتولى عدة مناصب قضائية جعل منها رافداً لحديثه المتتابع عن إصلاح القضاء، فوجدناه يقول :

"لا يصح أن يفوتني وقد كنت قاضياً من قبل أن إصلاح قانون الموضوع إصلاحٌ لنصف القضاء فحسب، أما النصف الآخر فهو بيد القاضي نفسه؛ لأن عليه أن يفهم الوقائع أولاً كما هي بعد تلمس أدائها ونقدها، وبعد الموازنة بينها، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت والحق يفلت من يد صاحبه، وعليه أن يشعر الناس جميعهم بالاطمئنان إليه."[١٦٥]

لقد " اجتهد في تبسيط الإجراءات وقواعد العمل وتسهيل حاجات المتقاضين"[١٦٦]

وإذا أردنا أمثلة تطبيقية على هذا الدور الذي قام به الإمام المراغي في المجال القضائي فيمكن أن نذكر ما يلي :

. إصدار قانون الأحوال الشخصية في (ذي القعدة (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)

. تعديل قانون الطلاق الذي جعل الطلاق الثلاث في المجلس الواحد طلقة واحدة

. إصلاح القوانين الحاكمة لعدة الزوجة التي غاب عنها زوجها

. قانون الوصية الواجبة، والذي يجعل للحفيد الذي مات والده قبل جده ميراثاً في تركته.[١٦٧]

هكذا رأينا مفردات المنحى الإنساني تشكل إطاراً جوهرياً في التجديد التشريعي الذي قاده المراغي، فرأيناها تظهر في الفهم العام لمقاصد الشريعة، ثم رأيناها مدخلاً لا يمكن تجاوزه في فهم أسرار التشريع،ثم رأينا صوراً تُتشَكَّلُ وقضايا تُبحث بناءً على تشكل الواقع الإنساني.

---

(١٦٤) مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن .علي عبد العظيم جـ٢صـ١٦ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٩٩هـ . ١٩٧٦م)

(١٦٥) كلمة جامعة للإمام في اجتماع اللجنة الشرعية العليا للشئون الاجتماعية، مجلة الأزهر المجلد السابع، ص٥٩٤

(١٦٦) رسالة المراغي في إصلاح القضاء .المستشار أحمد مدحت المراغي صـ ٣٤.بحث مقدم ضمن احتفالات رواد الجمعية الخيرية الإسلامية .عدد خاص بالإمام محمد مصطفى المراغي (١٤١٩. ١٩٩٨)

(١٦٧) الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين،د:محمد عمارة صـ٢٥

المطلب الثالث

المنحى الإنساني وقضية الزمالة الإنسانية

لم تقتصر تجليات المنحى الإنساني في فكر الإمام المراغي على التجديد الذاتي للقضايا الإسلامية فحسب، بل امتدت هذه الآثار لتجديد فكرة الدين بشكل عام ورسالته الإنسانية، وكان عنوان هذا التجديد قضية الزمالة الإنسانية، والتي برزت في أجلى صورها في تلك الرسالة التي بعثها المراغي إلى مؤتمر الأديان العالمي[١٦٨] تحت عنوان (الزمالة الإنسانية)

إن المراغي في هذه الرسالة لم يك مجرد باحث في قضية من القضايا التي تهم الإنسانية، بل كان خبيراً بالركنين العظيمين لهذه القضية، وهما الدين والإنسان.

لقد تحدث المراغي عن الزمالة باعتبارها حاجةً إنسانيةً فطر عليها الإنسان، عُرفت من قديم، لكنها خضعت كبقية مفردات الحياة الإنسانية إلى سنة التطور.

"إن فكرة الزمالة تولدت أولاً في الجماعات الساذجة، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة في أشكالها البسيطة، ونمت الفكرة بنمو الجماعات، وامتد سلطانها، فشملت القبائل، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة."[١٦٩]

ولئن كانت فكرة الزمالة لها هذا العمق التاريخي، ولئن كانت إحدى الحلقات الإنسانية التي شهدت تطوراً كبيراً، فإنها في هذا العصر قد اتسع إطارها أكثر وأكثر

"واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة في البشرية كلها بمأمن من الغوائل، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة، بل تحتاج إلى مشاركة عامة أخذت فكرة الزمالة الإنسانية تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنساني كله، ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع البشري منذ دور الطفولة، ومنذ أدرك الإنسان أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان، ويعود عليه بالخير."[١٧٠]

لقد كان الحديث عن كنه الزمالة الإنسانية وطبيعتها وبيان أوجه العلاقة بينها وبين كلٍّ من الفطرة الإنسانية والفلسفة المحطة الأولى في بحث تلك القضية، لكن بقيت هناك العديد من المحطات التي وجد المراغي نفسه مضطراً لأن يضعها في نطاق البحث والتأمل، من هذه المحطات: مدى العلاقة بين هذه الحاجة الإنسانية والأمل الإنساني وبين مكونات هذا الإنسان، هل تسمح له مكوناته بتمثل هذه الزمالة كأحسن ما يكون أم أنها تحوي هي ذاتها ما يمكن أن يشكل تحديات وعوائق ؟

"على الرغم من شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة، وأن العقل يقتضيها إلا أن عوامل التفرق دائماً ملازمة لهذا الشعور؛ لأن الإنسان لا يسيره العقل وحده، ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة والخوف والشك، وقد أضيف إلى ذلك

---

(١٦٨) عقد بلندن في يوليو (١٩٣٦م)

(١٦٩) مختارات من تراث صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي، كلمة أمام المؤتمر العالمي للأديان، ص٨١

(١٧٠) المرجع السابق صـ٨١

اختلاف الأديان والمذاهب فوجد عامل آخر للتفرق حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنساني المنشود تتدافعه كل تلك النوازع في الإنسان يبدو له أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة إذ يهوله ما يحتدم فيها من شرور تصرفها تصريفا جائرا شرسا لا قلب له ولا وجدان."[١٧١]

لقد بين المراغي أن تحديات الزمالة الإنسانية منها ما هو ذاتي، والذي يتمثل في مكونات النفس الإنسانية وغرائزها، ومنها ما هو خارجي وهو اختلاف الأديان والمذاهب.

وإذا كانت هذه هي التحديات التي تواجه الزمالة الإنسانية، فينبغي أن يكون عمل المتدين في إطار هذه التحديات مقاومة هذه الغرائز السلبية في الإنسان "والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر."[١٧٢]

لقد تحدث المراغي كذلك عن الحاجة الإنسانية للتدين أو موقع التدين من التغيير الإنساني، وطرح وجهة النظر الفلسفية الأخلاقية، فقال : "يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان وهو خوف الله وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ونبهوا الضمير الإنساني بواسطة التهذيب والتربية أغنى ذلك عن التدين لكن أنى لهم ذلك وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدروار الحياة الحاجة إلى القوت."[١٧٣]

ويقول كذلك في هذا السياق: "الشعور الديني إذا عمق وصلح . أقوى . أو على الأقل ليس أضعف من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ويهون عليها الفقر ويخفف ثورتها عليه."[١٧٤]

ولقد تحدث المراغي عن العلاقة التاريخية بين التدين والوضع الإنساني وبين أن هناك فارقا بين الحالة الإنسانية وأصل طبيعة التدين وبينها وبين الشعور الديني "وحسبنا أن نقول إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شر وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي ليس لشيء في طبيعة التدين بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني."[١٧٥]

والشر الذي يشير إليه المراغي كان من أفظع صوره تلك المجازر الدامية التي شهدها تاريخ العلاقة بين الأديان بل بين المذاهب البينية لها ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أنه قد

" أهلكت الحروب الدينية بين مذهبين داخل النصرانية الكاثوليك والبروتستانت في وسط أوربا (٤٠)% من تعداد شعوب تلك البلاد ." [١٧٦]

---

(١٧١) المرجع السابق صـ ٨٢

(١٧٢) المرجع السابق صـ٨٢

(١٧٣) المرجع السابق صـ ٨٣

(١٧٤) المرجع السابق صـ ٨٤

(١٧٥) المرجع السابق صـ ٨٤

(١٧٦) الإسلام والآخر من يعترف بمن ومن ينكر من .د: محمد عمارة صـ مكتبة الشروق الدولية

وإذا كان التدين في ذاته كغريزة إنسانية وحاجة بشرية له أغراض عليا ومنها الإخاء الإنساني فإن أي فعالية تبحث عن هذه القضية فهي في الوقت ذاته تبحث في غرض من أغراض الأديان "وهذا ما جعل اغتباطي بهذا المؤتمر عظيما فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية وهي الزمالة الإنسانية بين أفراد النوع الإنساني وأممه فإنه بهذا السعي يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التي سعت إليها الأديان وعنى بها الإسلام الذي أدين به."(١٧٧)

والمراغي حين يشرح طبيعة التدين فإنه ينبه إلى أن أولى الناس بتفهم هذه الطبيعة وتمثلها هم رؤساء الأديان أنفسهم فهم المنوط بهم أن يفهموا أن فكرة الدين في حد ذاتها بكل ما لها من فطرية بشرية ينبغي أن تكون قاسما مشتركا يجمع كل من ينضوي تحتها في مقابلة من يريد أن يفرغ الإنسان من هذه الخاصية وهو الإلحاد

"والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يداهم الإنسانية لا يجئ من أديان المخالفين وإنما يجئ من الإلحاد ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هوزوا ولعبا."(١٧٨)

ومع تطلع المراغي إلى هذا الدور الذي ينبغي أن يقوم به رؤساء الأديان فإنه لم يفته أن يبين بعضاً من المثالب المتجذرة في تاريخ الأديان عبر الإنسانية والتي تعدت التعصب الفكري إلى ما هو أبعد منه "ومما يثير العجب ويضاعف الألم أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك وسلكوا طرقا في التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة واستعملوا طرق الإكراه والأغراء بالمال وغيره من الوسائل وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول ونسوا أن الإيمان لا يحل في القلب بالإكراه وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ونسوا أن العدو جاد في إنزالهم من مكانهم اللاءق بهم وأن شرور العالم تغمر الإنسانية لتطغي على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة وهذه الأباحية التي يئن منها العقلاء وهذه العادة المستحكمة التي تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.."(١٧٩)

بل لقد خاض بعض أرباب الديانات فيما هو من المفترض أن يكون شغلهم الشاغل إبعاد العامة عنه "لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما

---

(١٧٧) مختارات من تراث صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي، كلمة أمام المؤتمر العالمي للأديان، ص٨٥

(١٧٨) المرجع السابق صـ ٨٧

(١٧٩) المرجع السابق صـ ٨٩

تعمل في غيرهم وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغري غيرهم ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم."[١٨٠]

وبعد أن قدم المراغي تحليلا متعمقا بين فيه العلاقة بين الإنسان ومكوناته والدين ومفرداته وبعد أن بيَّن بعضا من المثالب التي رسخت صورة سلبية للتدين في الذاكرة الإنسانية بعد كل هذا خلص إلى ضرورة أن تأخذ القضية الإنسانية بكل أبعادها حجر الزاوية في أي تجديد ديني: "– توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه – جمع كل ما في الدين من المعاني الإنسانية السامية العامة من الرفق بالبشر والبر بهم من حيث هم أفراد من نوع الإنسان دون نظر إلى الفوارق الأخرى وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات – جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائما على أساس عقلي محض وحب للحقيقة ورغبة صادقة للوصول في الوصول إليها مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن."[١٨١]

كما دعا المراغي إلى إنشاء هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني وبخاصة في الطبقات (المستنيرة) ويكون لهذه الهيئة شعب: شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يجد وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها في لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد، وشعبة تحتفي بالأراء الخلقية وبيان الفضائل وما يكون من ذلك جائرا على الحياة المعنوية متأثرا بأغراض نهمة ومطامع شريرة فتبحث ذلك في عمق ودقة ويذاع منه الآراء المقنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة، وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك تبين منها موضع الخير وناحية الحق وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة."[١٨٢]

"ونظرا لأن الإنسانية قد نالها عسف كثير نرى (بحق أو بغير حق ٩ أن سببه السلطة الروحية وأصحابها فمن الحق أن تظفر الإنسانية بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولا وعملا وأن نجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداة رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترفيهها وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها."[١٨٣]

---

(١٨٠) المرجع السابق صـ ٩٠
(١٨١) المرجع السابق صـ ٩١
(١٨٢) المرجع السابق صـ ٩٢
(١٨٣) المرجع السابق صـ ٩٣

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

١- هناك العديد من المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالإنسان، ومن أبرزها الإنسانية والإنسانوية والنزعة الإنسانية والتقليد الإنساني والمذهب الإنساني، ولقد شهدت هذه المصطلحات تقارباً في بعض الأحيان وصل إلى حد الترادف، وتباعداً في حين آخر سمح بتعدد وجهات النظر وتشعبها واختلاف وجهتها.

٢- يمكن صياغة تعريف إجرائي للمنحى الإنساني المراد في هذا البحث بأنه محورية الاهتمام بالقضايا الإنسانية المختلفة وفق الرؤية الإسلامية.

٣- تأثر المراغي تأثرا كبيرا بالمنحى الإنساني لدى أستاذه الإمام محمد عبده، والذي كان يعده إعداداً خاصاً ليحمل مشرعه الإصلاحي العام، ولقد كانت هناك الكثير من الشواهد التي عكست هذا التأثر مما جعلنا نعده إحدى جذور المنحى الإنساني في فكر المراغي.

٤- عاش المراغي عصراً استثنائياً بكل المقاييس، وهو النصف الأول من القرن العشرين، هذا العصر الذي شهد تقدماً علمياً لم يسبق له مثيل، وشهد في الوقت ذاته أعظم الكوارث البشرية على مر التاريخ مما أهله ليشكل إحدى جذور المنحى الإنساني في فكر المراغي.

٥- مثَّل واقع الشخصية المسلمة في العصر الذي عاش فيه المراغي إحدى أهم جذور المنحى الإنساني في فكره؛ إذ كان هذا الواقع انعكاساً للتراجع في بنيوية الشخصية المسلمة.

٦- لقد مثَّل القرآن الكريم المورد الأول لتجليات حركة التجديد الإسلامي قديماً وحديثاً، ولم يخرج المشروع التجديدي للمراغي عن هذه القاعدة.

٧- كان المراغي واحداً من أعلام المدرسة الاجتماعية في التفسير، واستطاع المراغي أن يسلك الكثير من مفردات المنحى الإنساني في قالب هذا المنهج التفسيري الحديث.

٨- لقد مثَّل البحث في الغاية التي نزل من أجلها القرآن الكريم . وهي الهداية . أول تجليات المنحى الإنساني في التعامل مع النص القرآني.

٩- نظر المراغي إلى النص القرآني على أنه المورد الأعظم للكشف عن طبيعة الإنسان تلك الطبيعة التي مثَّل الخلل في فهمها حركات الانحراف الديني والفكري عبر التاريخ الإنساني.

١٠- كان من بين المفردات التي رأينها في تعامل الشيخ المراغي مع النص القرآني حديثه عن الجماعة الإنسانية.

١١- مثَّل الجانب التشريعي إحدى أبرز الجوانب التي ظهرت فيها تجليات المنحى الإنساني لدى المراغي، وكان ذلك بمثابة ثورة تشريعية قاومت جواً علمياً يسوده الجمود وبيئة تشريعية يغلب عليها التعصب، ومرحلة فقدت كل ميزات المراحل التشريعية السابقة.

١٢- ارتأى المراغي أن الغاية الكبرى من المعارك الفقهية التي خاضها لم تكن في إقرار رأي فقهي بعينه، أو إصدار قانون ملزم في العمل به، إنما الغاية الكبرى، والمنفعة العظمى إرجاع قيمة العقل الإنساني في ظلال التشريع الإسلامي، ونقل التراث الفقهي من حالة الجمود إلى حالة الحيوية التي كان عليها.

١٣- ربط المراغي بين المنحى الإنساني وغائية التشريع الإسلامي.

١٤- لقد كانت إنسانية التشريع الإسلامي إحدى أهم القسمات الغالبة على رؤية المراغي التجديدية فلقد أسهب المراغي في شرح هذه الإنسانية، وبيان مرتكزاتها، وسرد الكثير من صورها ومظاهرها مثل جعله المنحى الإنساني ميزانا من موازين الاجتهاد التشريعي، وكاشفا لأسرار التشريع الإسلامي، وبيان كيف كانت مراعاة الشريعة للعرف برهاناً على إنسانيتها.

١٥- مثَّلت قضية الحجر بسبب السفه قضية فقهية ظهر فيها جليا البعد الإنساني حيث إن تلك القضية تبحث في أخص مكونات الإنسان وهو العقل.

١٦- لم تقتصر تجليات المنحى الإنساني في فكر الإمام المراغي على التجديد الذاتي للقضايا الإسلامية فحسب، بل امتدت هذه الآثار لتجديد فكرة الدين بشكل عام ورسالته الإنسانية، ولقد انطلق المراغي في ذلك من يقينه بأنه لا مناص من التعددية الدينية، وأنه لذلك يجب أن يبحث في فكرة الدين ذاتها.

١٧- لقد كان الحديث عن كُنه الزمالة الإنسانية وطبيعتها، وبيان أوجه العلاقة بينها وبين كل من الفطرة الإنسانية والفلسفة المحطة الأولى في بحث تلك القضية.

١٨- لقد بين المراغي أن تحديات الزمالة الإنسانية منها ما هو ذاتي، والذي يتمثل في مكونات النفس الإنسانية وغرائزها، ومنها ما هو خارجي وهو اختلاف الأديان والمذاهب.

١٩- تحدث المراغي عن العلاقة التاريخية بين التدين والوضع الإنساني، وبين أن هناك فارقاً بين الحالة الإنسانية وأصل طبيعة التدين وبينها وبين الشعور الديني.

٢٠- حين شرح المراغي طبيعة التدين فإنه نبه إلى أن أولى الناس بتفهم هذه الطبيعة وتمثلها هم رؤساء الأديان أنفسهم، فهم المنوط بهم أن يفهموا أن فكرة الدين في حد ذاتها بكل ما لها من فطرية بشرية ينبغي أن تكون قاسماً مشتركاً يجمع كل من ينضوي تحتها في مقابلة من يريد أن يُفرغ الإنسان من هذه الخاصية وهو الإلحاد.

٢١- بعد أن قدم المراغي تحليلا متعمقا بيَّن فيه العلاقة بين الإنسان ومكوناته، والدين ومفرداته، وبعد أن بيَّن بعضاً من المثالب التي رسَّخت صورةً سلبيةً للتدين في الذاكرة الإنسانية بعد كل

هذا خلص إلى ضرورة أن تأخذ القضية الإنسانية بكل أبعادها حجر الزاوية في أي تجديد ديني.

ثانياً: التوصيات

١- تبني المنحى الإنساني منطلقاً من منطلقات التعامل مع التراث الإسلامي عامة، ومشاريعه التجديدية بشكل خاص.

٢- إنشاء هيئة خاصة بجمع التراث الأزهري وتبويبه وطباعته طباعة عصرية حتى يتسنى للباحثين القيام بأعمالهم العلمية الخاصة بهذا التراث.

٣- تدعيم آليات التواصل بين التخصصات العلمية الشرعية المختلفة وتفعيل سبل العمل العلمي المشترك للقدرة على إبراز شمولية الثقافة الإسلامية وسعة الأفق التي كان يمتلكها روادها ومنهم الإمام المراغي.

٤- عمل مؤتمر علمي حول فكر الإمام المراغي يُستكتب له الباحثون على اختلاف تخصصاتهم، فما زال تراث الإمام يحوي العديد من الجوانب العلمية التي تستأهل للبحث والنقاش.

المراجـــع

- الأزهر في ألف عام،محمد عبد المنعم خفاجي، د:علي علي صبح،المكتبة الأزهرية للتراث ط(٣)
- الشيخ المراغي بأقلام الكتاب،أبو الوفا المراغي،المطبعة الأميرية بالأزهر ط١ (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)
- الشيخ المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين، د: محمد عمارة، دار السلام ط١ (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)
- لسان العرب،جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣ (١٤١٤هـ)
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)
- أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم،د:محمود إبراهيم، الدار المحمدية للنشر والتوزيع (١٩٨٥م)
- اتجاهات التجديد في التفسير، د: ابراهيم الشريف، دار السلام (٢٠٠٨م)
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)
- أثر الخصوصية العربية في المجتمعية الإسلامية،رفيق العجم،دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١ (١٩٩٣م)
- أزمة العقل العربي. مناظرة بين كل من: د: محمد عمارة، د: فؤاد زكريا،الآفاق الدولية للإعلام. القاهرة.
- الإسلام والحضارة الإنسانية، عباس العقاد، دار نهضة مصر.
- أصول الحرب العالمية الثانية، أ. ج.ب، تايلور. ترجمة: مصطفى كمال خميس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٩٧١م)
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية – بيروت ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م)
- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. د: محمد عمارة ، مكتبة الأسرة (٢٠٠٨م)
- إنسانية الإنسان، بينيه دوبو، ترجمة الدكتور: نبيل صبحي الطويل، موسسة الرسالة.
- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د: عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت لبنان.
- أهم اختراعات واكتشافات القرن العشرين، د: حاتم صدقي،المكتبة الأكاديمية (٢٠٠٧م)

- بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها، الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي. مطبعة الرغائب.
- بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قوانين الزواج والطلاق رقم ٢٥ سنة (١٩٢٩م) .مجلة المسلم المعاصر، السنة التاسعة عشرة العدد (٧٣-٧٤)
- تاريخ ابن خلدون. (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة . دار الفكر، بيروت، ط٢ (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)
- تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي خلال الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) د: محمد متولي، دار الثقافة ط١ (١٩٧٧م)
- تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال. مكتبة الاسكندرية (٢٠١١م)
- تفسير القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغي.سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.السنة الثامنة والثلاثون،الكتاب السابع (١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م)
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا،الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م)
- التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة بدون
- الحرب العالمية الأولى، عمر الديراوي، دار العلم للملايين ط ٨ (١٩٩٠م)
- الحرب العالمية الأولى، نيل. م.هيمان، ترجمة: حسن عويضة. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ط١ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)
- الحرب العالمية الثانية ومصائر شعوب آسيا وإفريقيا، ديمتري يفيموف. دار الموقف العربي بدون.
- الحرب العالمية الثانية، رمضان لاوند، دار العلم للملايين. بيروت، ط ١٤، (١٩٩٢م)
- دور المسلِم ورسالته فِي الثُّلُثِ الأخِيرِ مِنَ القرن الْعِشرِين، مالك بن نبي،دار الفكر، دمشق سورية. ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)
- رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، د: محمد عماره صـ ١٠، دار الشروق ط٣(٢٠٠٧م)
- علم أصول الفقه،عبد الوهاب خلاف، دار القلم ط(٨)
- فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية، د: عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د: محمد البهي، مكتبة وهبة. ط١٠

- الفكر الإسلامي المعاصر، مراجعات تقويمية، طه جابر علواني، تحرير وحوار: عبدالجبار الرفاعي.دار الفكر المعاصر.بيروت. لبنان، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)
- الفلسفة الإسلامية في الإسلام، د: سهير فضل الله، دار النهضة العربية.
- فلسفة العلم في القرن العشرين، د: يمنى طريف الخولي،الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠٠٩م)
- القرآن وقضايا الإنسان، د: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار العلم للملايين. ط٥ (١٩٨٢م)
- كيف صنعنا القرن العشرين. روجيه جارودي.ترجمة: ليلى حافظ.دار الشروق. ط٢ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)
- الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، د: محمد جلال أبو الفتوح شرف (١٩٧٥م) دار المعارف بمصر.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة. مصر
- مباحث في منهجية الفكر الإسلامي،عبد المجيد عمر النجار،دار الغرب الإسلامي ط١ (١٩٩٢م)
- مجلة الأزهر. المجلد الحادي عشر.
- مجلة المسلم المعاصر، السنة التاسعة عشرة، العدد (٧٥-٧٦)
- محمد إقبال: سيرته، وفلسفته، وشعره، د:عبد الوهاب عزام من منظومة أسرار خودي، مطبوعات الباكستان سنة (١٩٥٤م)
- مخطوطة الأولياء والمحجورين،مخطوط بمكتبة الأزهر
- مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، د:محمد عمارة،مكتبة الشروق الدولية، ط١ (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)
- مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن،علي عبد العظيم.الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٩٩هـ. ١٩٧٦م)
- معالم تاريخ الإنسانية، تأليف: هـ. ج. ولز. ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد.
- معجم الفلسفة، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)
- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط١
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د: أحمد زكي بدوي، مكتبة بيروت، لبنان
- مكانة العقل في فكر الشيخ محمد عبده، د: محمود حمدي زقزوق، ضمن بحوث ودراسات عن حياة الشيخ محمد عبده وفكره، المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٥م)

- مناهج المفسرين، د: منيع عبد الحليم محمود. مكتبة الإيمان ط٢(٢٠٠٣م)
- منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، د:عبد الله شحاته، مطبعة جامعة القاهرة، (١٩٨٤م)
- منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي، علي بودربالة، دار قرطبة.
- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)
- موسوعة لالا ند الفرنسية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس ط٢(٢٠٠١م)
- النزعة الإنسانية في الفكر العربي، تحرير: عاطف أحمد، بحث التوجه الإنساني تحليل مفهومي تاريخي.
- النزعة الإنسانية في شعر العقاد، د: عبد الحي دياب، دار النهضة العربية (١٩٦٩م)
- نظرات في فكر الإمام محمد عبده، د: مصطفى لبيب. الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠١٠م)

الفهرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٤
مفهوم المنحى الإنساني	٤
المنحى الإنساني بين الدلالة المفاهيمية والتحديد الاصطلاحي	٦
المصطلحات المقاربة	٧
تعريفٌ موجَزٌ بالإمام المراغي	١٢
المبحث الأول: بواعث المنحى الإنساني في فكر الإمام المراغي	١٦
المطلب الأول: التأثر بالمنحى الإنساني لدى الإمام محمد عبده	١٦
المطلب الثاني : خصوصية الحالة الإنسانية في القرن العشرين	٢١
المطلب الثالث: تراجع التكوين الذاتي للشخصية المسلمة	٢٦
المبحث الثاني: آثار المنحى الإنساني في الرؤية التجديدية للإمام المراغي	٣٢
المطلب الأول: المنحى الإنساني وتجديد التعامل مع النص القرآني	٣٢
الحديث عن الطبيعة البشرية	٣٦
الحديث عن الجماعة الإنسانية	٣٨
أنموذج متكامل لأثر المنحى الإنساني	٣٨
المطلب الثاني: المنحى الإنساني والتجديد التشريعي	٤١
الربط بين التشريع الإسلامي والعقل الإنساني	٤٢
إظهار إنسانية التشريع الإسلامي	٤٣
المنحى الإنساني وأسرار التشريع الإسلامي	٤٥
مراعاة الشريعة للعرف وتمثل المنحى الإنساني	٤٥
قضية الحجر وارتباطها بالمنحى الإنساني	٤٦
المنحى الإنساني والإصلاح القضائي	٤٧
المطلب الثالث: المنحى الإنساني وقضية الزمالة الإنسانية	٤٩
نتائج البحث	٥٣
التوصيات	٥٥